أضــواء

على افتراءات أعداء الإسلام

على التاريخ الإسلامي

علي القاضي



الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق

الترقيم الدولي I.S.B.N.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بدأت في التفكير في التاريخ الإسلامي منذ خمسين عامًا - وكنت أرى أن الكثير مما يقال عن القرآن الكريم وعن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين ﷺ وعن الدولة الأموية، وعن الدولة العباسية فيه الكثير من الافتراءات، وكنت أتناقش مع بعض الزملاء في هذه الموضوعات وأعانني على فهم الأمور الفهم الصحيح كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي وقراءة بعض كتب التاريخ التى كتبها مؤرخون يتميزون بالفهم العميق والعدالة الواضحة .

وحين كنت مدرسًا في جامعة قطر قرأت في صحيفة (العرب القطرية) مقالاً لسيدة تتحدث فيها عن إعجاب النبي ﷺ بجمال زينب بنت جحش حين رآها بعد زواجها من زيد بن حارثة وأراد أن يطلقها من زيد ليتزوجها وفسرت قوله تعالى ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ**﴾ بذلك وعجبت من هذا المقال وهذا الفهم فرددت بمقال على كل هذه الافتراءات تحت عنوان: لماذا نتأثر بالإسرائيليات وبكتابات المستشرقين؟ ونشر على صفحة كاملة من صفحات الصحيفة وهذا المقال منشور في هذا الكتاب .

كما أننى استمعت إلى افتراءات كثيرة عن هارون الرشيد وكتبت عدة مقالات نشرت في مجلات مختلفة ومنشور منها مقال في هذا الكتاب.

لماذا هذا الكتاب؟

في هذا العام مررت على حجرة من حجرات المدرسات في مدرسة أشرف عليها أشرافًا فنيًا وألقيت عليهن تحية الإسلام ثم هممت بالسير فقالت إحدى المدرسات:

«اجلس معنا حتى تكون مثل هارون الرشيد فقلت لها : إن هارون الرشيد خليفة مظلوم فقد كان معنى بأمر الخلافة وكان يجاهد عامًا ويحج عامًا ـ وفي اليوم التالي أتيت لهن بمقال عن هارون الرشيد نشر منذ أكثر من عشرين عامًا وأعطيته للمدرسات

جميعًا ليقرأن المقال ويعرفن حقيقة هارون الرشيد الخليفة المظلوم.

وهنا بدأت أفكر في كتابة هذا الكتاب الذي يتناول التاريخ الإسلامي والمفتريات التى شاعت عنه عن طريق الإسرائيلين والمستشرقين والعملاء وغيرهم إلى درجة أن بعض المتخصصين في التاريخ الإسلامي لا يعرفون الحقائق كاملة - إلى جانب أن المدارس والجامعات في البلاد الإسلامية لا تدرس التاريخ الإسلامي دراسة وافية تلقى الأضواء على كل جوانبه - وهذا من تحديات العصر الحديث لأن بعض المسلمين تربوا على الثقافة الغربية فكانوا جنودا لها يقولون مثل ما يقول الغربيون.

ولابد من أن نبدأ صفحة جديدة في قراءة التاريخ الإسلامي وفي كتابته من الجوانب الصحيحة حتى نصحح المفاهيم الخاطئة ونسير في الطريق السليم.

وهذا الكتاب يبدأ بنشر مقال كتبته في تاريخ سابق في صحيفة العرب القطرية حين كتبت أستاذة عن السيدة زينب بنت جحش حين رآها النبي ﷺ وأعجب بها فكتبت المقال الذي عنونته بـ «لماذا نتأثر بالإسرائيليات وبكتابات المستشرقين؟»

ثم أتبعته بمقال نشر في صحيفة الهداية البحرانية لأنى وجدت بعض الناس الذين يكبرون ما يعرفونه عن هارون الرشيد وهو أنه كان يحيط به المغنيات والراقصات وما إلى ذلك وهو محض افتراء على الخليفة الملتزم .

وأرجو الله تعالى أن يتقبل منا وأن يقبلنا إنه نعم المولى ونعم النصير

علي القاضي

لماذا نتأثر بالإسرائيليات وبكتابات المستشرقين؟

أم المؤمنين زينب بنت جحش :

نشرت صحيفة العرب القطرية الغراء بتاريخ ١٤ / ١ / ١٩٧٩م مقالاً تحت عنوان السيدة زينب بنت جحش وهو مقال جيد يتحدث عن زواج السيدة زينب من زيد ابن حارثة ثم عن النبي ﷺ ثم عن مميزاتها .

بيد أن المقال به نقطة طالما أثارت مناقشات تناولها المستشرقين واليهود الذين يريدون أن ينالوا من رسول الله ﷺ وقد كتب فيها قبل ذلك إسرائيليون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر لينالوا أيضًا من الإسلام ومن رسوله فقال هؤلاء وهؤلاء ما قالوا بشأن إعجاب رسول الله ﷺ بزينب وقوله: سبحان مقلب القلوب إلى آخر ما جاء في المقال المشار إليه ولنتناول الموضوع من جميع زواياه مبتدئين بشخصيات القصة.

أولاً: زيد بن حارثة: كان عبدًا للسيدة خديجة رضى ا لله عنها فوهبته لرسول ا لله ﷺ فأعتقه وتبناه فكان يدعى : زيد بن محمد حتى نزل قول الله تعالى :﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ**﴾ (الأحزاب:٥) فأصبح يدعى زيد بن حارثة .

ثانيًا: رسول الله ﷺ : تزوج من السيدة خديجة رضى ا لله عنها وهو في الخامسة والعشرين من عمره وهي في الأربعين من عمرها ـ وظل معها وحدها حتى تجاوز الخمسين من عمره وتجاوزت هي الخامسة والستين ـ وحين توفيت هي وأبو طالب في عام واحد سمى هذا العام بعام الحزن وظل رسول ا لله ﷺ يذكرها طوال حياته بالخير ويكرم صديقاتها حتى غارت السيدة عائشة / وهي أحب زوجاته إليه / منها وهي ميتة وقالت له مرة: هل هي إلا عجوز أبدلك الله خيرًا منها ؟ فقال عليه الصلاة

والسلام : لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها ـ لقد واستني بمالها ونفسها ورزقني الله منها الأولاد حين حرمني أولاد النساء.

ولم يجرؤ أحد من أشد خصوم النبي ﷺ أن ينسب إليه ريبة في هذه الفترة الرحبة من عمره التي ابتدأت بالشباب وانتهت بالكهولة ـ بل لقد كان رونق العفاف والشرف قبل زواجه من السيدة خديجة وبعد الزواج منها . ولو أنه أراد الزواج من آية فتاة في قريش للقي الترحيب كل الترحيب ولما عابه شرع أو عقل أو عادة ـ ثم إن رب العزة جل شأنه مدحه بما لم يمدح به أحد قبله ولا بعده وقال له : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم:٤) .

فلم تكن المتعة في حياة رجل عزف عنها وهو شاب فكيف يبحث عنها وهو شيخ؟

لكن بعض كتب التفسير بها سموم إسرائيلية وضعها بعض من أظهر إسلامه من اليهود عن قصد يريدون تشويه النبوات كلها وعلى رأس الأنبياء محمد ﷺ ومنها أمور لا تليق بالرجل العادى فضلاً عن الرجل الممتاز فضلاً عن نبي فضلاً عن أشرف الخلق المشهود له من أنصاره ومن أعدائه على السواء بأنه الصادق الأمين. وتابعهم في ذلك بعض المستشرقين الذين يحملون على الإسلام وعلى نبي الإسلام حقدًا وحسدًا ـ كما تابعهم بعض الكتاب الغربيين الذين يخضعون الحياة الزوجية في العصر الذي ظهر فيه الإسلام للقيم والتصورات الغربية في العصر الحديث وتسليط الموازين والمقاييس الغربية/ وهي وليدة حضارة خاصة ومجتمع خاص وقيم خاصة / على البيئة الإسلامية الأولى ـ وهي تختلف اختلافًا كاملاً في حضارتها وفي مجتمعها وفي قيمها وفي تصوراتها عن المجتمع الغربي ـ وتلك نقطة ضعف في التفكير الغربي وفي الكتابات الغربية لأنهم يجعلون الحضارة الغربية الحديثة هي الميزان ثم يطلقون أحكامًا قاسية على كل شيء إسلامي ـ ويتابعهم في ذلك بعض الكتاب المسلمين الذين تثقفوا ثقافة غربية خالصة والذين ينظرون إلى الأمور من وجهة النظر الغربية فيقولون مثل ما يقول الغربيون.

القصة :

زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله ﷺ وكان يعرفها منذ طفولتها المبكرة وقد رغب في أن يزوجها من زيد بن حارثة فكرهت هي ذلك وامتنعت وقالت: يارسول الله لا أرضاه لنفسي وانا أيم قريش- وكره أخوها عبد الله بن جحش ذلك أيضًا وامتنع عن قبول هذا الزواج لنسبها ومكانتها من قريش.

لكن الله سبحان وتعالى أراد أن يتم هذا الزواج لتحطيم مبدأ العصبية القبلية والشرف الجاهلي وجعل الشرف في الإسلام هو التقوى ـ وكان هذا الزواج امتحانًا لزينب وأيضًا امتحانًا لزيد .

وما أحوجنا في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة إلى هذا الفهم وإلى هذا السلوك أيضًا إن تصوره صعب وان تنفيذه أصعب ونزلت الآية الكريمة **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** (الأحزاب: ٣٦) فقال أخوها لرسول الله مر بما شئت ورضيت هي بهذا الزواج وفي نفسها غضاضة ـ إنها تؤدى حق السمع والطاعة فحسب وزوجها النبي ﷺ لزيد بن حارثة . ترى كيف كانت الحياة الزوجية بعد ذلك؟ لقد كانت الحياة الزوجية شاقة بين الزوجين لأن الزواج في أساسه يقوم على المودة والرحمة والسكن والاطمئنان فهل حقق هذا الزواج شيئًا من ذلك ؟

لا ـ إن الزواج لم يحقق شيئًا من أغراضه ـ لقد كانت زينب كارهة لزيد وكانت متعالية عليه وزيد ليس بالرجل الهين على نفسه إنه رجل عزيز بإيمانه ويعتقد أنه قريب من الله وأنه لا فضل لإنسان على آخر إلا بالتقوى لهذا كان غير سعيد في زواجه من زينب ـ وكان يشكوها للنبي ﷺ كثيرًا بسبب معاملتها له.

لقد وجد زيد في زينب امرأة مصروفة الفؤاد عنه تسلمه جسدها وتحرمه العطف والحب والتقدير ـ فثارت رجولته وقرر ألا يبقى معها ـ وتدخل النبي ﷺ عدة مرات لإصلاح ذات البين دون جدوى .

في هذه الحالة أوحى الله تعالى لنبيه ﷺ أن يدع زيدًا يطلق زوجته ثم يتزوجها ـ بعد انقضاء عدتها ولكن عادة التبنى كانت متغلغلة في نفوس قريش إلى درجة أن رب العزة حين أراد هدمها جعلها تهدم على يد رسول الله ﷺ .

ولقد كان هذا الأمر بالنسبة لرسول الله ﷺ صعب وشاق لأن الناس سيقولون: إنه تزوج زوجة ابنه ـ ولذلك فقد اعتراه هم وقلق وساوره التوجس من الإقدام عليه ، بل لقد اخفاه في نفسه خوفًا من مغبته ، ماذا سيقول الناس إنهم سيقولون تزوج امرأة ابنه وهي لا تحل له وهو ليس بالرجل العادى ـ إنه رسول الله إنه القدوة المثلى ـ ولكن هذا ما أراد الله سبحانه وتعالى هدمه وإن يكون ذلك على يد رسوله بدون أى اعتبار لكلام الناس أو أى شئ آخر ويجب على رسول الله ﷺ أن ينفذ هذا الأمر دون انتظار ودون تهيب .

ولكن رسول الله ﷺ ، لشدة إشفاقه من هذا الموقف، تريث في إنفاذ هذا الأمر ـ ولعله ارتقب من الله تعالى ، من فرط تحرجه ، أن يعفيه منه .

بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك فعندما جاء زيد يشكو امرأته ويعرض على رسول الله تطليقها فقال له رسول الله ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله .

عندئذ نزل الوحي يلوم رسول الله ﷺ على توقفه عن تنفيذ الأمر ويعيب عليه تصرفه ويحضه على إمضاء رغبة زيد في طلاق امرأته ويكلفه بتزوجها بعد انقضاء العدة ولو قال الناس ،لقد تزوج محمد امرأة ابنه ، لأن ادعاء البنوة لون من التزوير ينبغي أن يقلع عنه المسلمون وأن تهدر نتائجه وليكن عمل الرسول بنفسه أول ما يهدم مآثر الجاهلية وهكذا نزلت الآية الكريمة : ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ**﴾ ، وهو طلاق زينب من زيد وزواجها من النبي ﴿**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ وذلك في قول الناس: لقد تزوج محمد زوجة ابنه ـ ثم تبين الآية الكريمة في وضوح سبب هذا الزواج فتقول: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾ (الأحزاب : ٣٧) .

ومما يذكر أن زينب كانت ، بعد الطلاق مهمومة إذ ظنت أنها لن تتزوج - ومن ذا الذي يتزوجها بعد أن كانت متزوجة من زيد بن حارثة - فقد هبطت بهذا الزواج ولن يقبل أحد الزواج منها. ولقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يذهب عنها كل هذه الهموم فاختار رسوله زوجًا لها.

ومن هنا كانت تفخر بذلك وتقول زوجنيه الرحمن من فوق عرشه كان جبريل هو السفير وكانت تقول ايضا: «إنى والله ما أنا كواحدة من زوجات النبي ﷺ - إنهن زوجهن أولياء أمورهن بالمهور وزوجنى الله رسوله وأنزل في قرآنا يقرؤه المسلمون لايغير ولا يبدل .

ترى من ذا الذي كان يمنع محمدًا ﷺ من الزواج من زينب لو أنه أراد ذلك؟ وهي ابنة عمته وهو الذي ساقها إلى الزواج من رجل لم تكن راغبة فيه وقد طيب خاطرها لترضى بـه . ترى هل من الممكن أن يقال إنه طمع في الزواج منها بعد أن زوجها بنفسه لغيره ومع ذلك كله فمن ذا الذي يعجب بهذه المرأة أو تلك؟ إنه الرجل الفارغ من الهموم والذي لا يحمل تبعات جسام إن حملة الرسالات الإنسانية المحدودة تعييهم هموم العيش ومشكلات الشعوب فلا يحظون براحة ساعة ليستجموا فيها ثم يعودون إلى العمل لرسالتهم فكيف بصاحب الرسالة الكبرى؟

ثم إن حياة الرسول ﷺ لم تكن حياة ترف ورفاهية وتوسع في المطاعم والمشارب وخفض العيش بل كانت حياة النبي ﷺ حياة الزهد والتقشف وإيثار وقناعة تامة لايطيقها أعاظم الرجال وكبار الزهاد في القديم وفي الحديث على السواء.

وقد كان طعام زوجات رسول الله ﷺ في اكثر الأيام: الأسودان التمر والماء ولقد كان يمر الشهران وتهل ثلاثة أهلة ولا يوقد في بيت زوجات رسول الله ﷺ نار كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها .

ولقد ضاقت زوجات رسول الله ﷺ مرة من هذه الحياة وطلبن التوسعة في النفقة فماذا كانت النتيجة؟ لقد كان الرد عليهن قاطعًا وحازمًا - ذلك لأن رسالة رسول الله ﷺ أهم من هذه الأشياء التى يريدونها فإما أن يرضين بهذه الحياة وإلا فإن رسول الله

ﷺ سيطلقهن وفي ذلك تقول الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً(٢٨)وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب :٢٨ ، ٢٩) .

هذه هي الحقائق التى ينبغي أن تكون واضحة وعلينا أن نأخذ كل ما يختص بديننا من مصادره الأصليه فلا نأخذ كلام المستشرقين إلا بعد فحص وتمحيص ولا نأخذ من الإسرائيليات إلا بعد تدقيق وفهم وأن يكون كل ذلك من منظور إسلامي حتى نعطى لأجيالنا المقبلة المعلومات الصحيحة التى تجعلهم يسيرون في الطريق المستقيم فيستطيعون أن يقوموا بوظيفتهم في هذه الحياة .

من تراثنا الثقافي:

هارون الرشيد
أشهر خلفاء بغداد

لعل هارون الرشيد من أكثر الخلفاء الذين افترى عليهم التاريخ وجعل صورتهم أمام الناس صورة مشوهة لهدف من الأهداف التى يحاولون بها أن يشوهوا التاريخ الإسلامي حتى يبينوا للعالم أن التاريخ الإسلامي ليس فيه من يسير على منهج الإسلام ويهدفون بذلك إلى أن الإسلام لم يفعل شيئًا له قيمة إلا في فترة قصيرة من الفترات الأولى للتاريخ الإسلامي .

وفي أرجاء العالم الإسلامي إذا ذكر -هارون الرشيد- فإن الصورة التى تنطبع في ذهن القارئ أو السامع ماهي إلا صورة رجل يعيش بين دنان الخمر وفي أحضان المغنيات ووصل الأمر إلى الكتب المدرسية والمجلات الأدبية وانتشر هذا المفهوم وساد.

وفي أحد الكتب المدرسية لأحد الصفوف الإعدادية مثلاً ذكر أن الرشيد كان يعيش حياة البذخ والترف، ومن ذلك أنه كان ينفق على إعداد طبق صغير على مائدته ما يزيد على ألف درهم، وعلى مثل هذا نربى أبناءنا منذ صغرهم فينطبع في أذهانهم عن الخلفاء ما ينطبع من الصور الغريبة .

ترى ما أصل هذه القصة مثلا؟

كتب الطبرى في ترجمة هارون الرشيد أنه كان يحج عامًا ويغزو عامًا وأنه كان يصلى في اليوم والليلة مائة ركعة مالم يعتل بعلة أو يكون مشغولا بغزو وأنه لم يكن يقطع في أمر من أمور المسلمين إلا بعد الرجوع إلى الصالحين من أهل العلم ـ لكن الصورة التى تنشر عنه مختلفة تمامًا وها هي ذي قصة الطبق..

وقصة الطبق ذكرها المسعود في كتابه «مروج الذهب» ولكن في صورة مختلفة تمامًا عما شاع وذاع عن الخليفة يقول المسعودى ما ملخصه :

«حدث إبراهيم بن المهدى قال: زارني الرشيد بالرقة مرة فوجد بين ماقرب إليه

من طعام جاما فيه ما يشبه سمكًا مقطعًا فاستصغر القطع وقال: لم صغر طباخك قطع السمك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين هذه ألسنة أسماك فقال: يشبه أن يكون في هذا الجام مائة لسان ـ فقال الخادم: يا أمير المؤمنين فيها أكثر من مائة وخمسين، فاستحلفه عن ثمن السمك، فأخبره أنه يساوى أكثر من ألف درهم، فرفع الرشيد يده وحلف أن لا يطعم شيئًا حتى يحضر ألف درهم، فلما حضر المال أراد أن يتصدق به وقال: أرجو أن يكون كفارة لسرفك في إنفاقك على جام سمك ألف درهم، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال: اخرج من دار أخى ثم انظر أول سائل تراه فادفعه إليه .

قال إبراهيم: وكان الجام يساوى مائتين وسبعين دينارًا فغمزت بعض خدمى للخروج ليبتاع الجام ممن يصير إليه ففطن الرشيد وقال للخادم: ياغلام إذا دفعته إلى سائل فقل له: يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبيعه بأقل من مائتى دينار فإنه خير منها.

هذه هي الصورة الحقيقية ولكن الكُتَّاب الذين يريدون تشويه صورة الخلفاء والتاريخ الإسلامي في أي عصر من عصوره أخذوا زاوية وتركوا الباقى على نظام: «فويل للمصلين» وليس كل إنسان دارس للتاريخ وليس كل إنسان عنده ملكة النقد فكيف بالتلاميذ الصغار.

وإذا كان الأمر قد وصل في كتابة التاريخ إلى الصحابة رضوان الله عليهم ، سواء أكان ذلك من الشعوبيين في القديم أو المستشرقين في الحديث فإن الأمر أهون حين يصير إلى غيرهم .

وعن طريق المذهب الذاتي في كتابة التاريخ يحدث ما نراه الآن وقبل الآن .

ترى هل آن الأوان لأن يتجه المتخصصون في التاريخ الإسلاميّ إلى كتابه سليمة غير منتظرين الأجر إلا من الله تعالى ؟

وسنحاول أن نلقى بعض الأضواء على التاريخ الحقيقي لهارون الرشيد حتى يتضح لنا مقدار الظلم الذي وقع عليه عن قصد أحيانًا وعن غير قصد أحيانًا أخرى.

في حاجة إلى من يعظه:

قال الرشيد لحاجبه مرة: دلني على عالم أسمع منه فأخذه إلى عالمين عظيمين من علماء عصره فتلقياه بالبشر والترحاب وتواضعا له وعظماه فأعطاهما الجائزة ولكنه لم يجد عندهما الدواء الذي يريده فمشى إلى الفضيل بن عياض فتلقاه كما يتلقى رجل الآخرة رجل الدنيا ونظر إليه بعين الشرع فوعظه وعظا شديدًا صريحًا حتى أبكاه ورفض هديته فخرج الرشيد من داره لا يلوى على شئ ومع ذلك فقد استراح لأنه وجد عند الفضيل السكينة والشفاء.

ذلك هو هارون الرشيد الذي كان يحكم مملكة إسلامية مقسمة اليوم إلى أكثر من عشرين دولة والذي قال للسحابة : امطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك ويعتبر عصره من أزهى العصور للحضارة الإسلامية وبغداد كانت عاصمة ملكه فكيف كانت بغداد في ذلك الوقت؟

بغداد الرشيد:

كان يسكن بغداد مليونان من البشر في ذلك الوقت لم تكن المدن تعرف مثل هذا العدد وكانت مملؤه بالقصور التى تفتن الناس بصحونها وأفنائها وتأخذ العقول بزخارفها ونقوشها وشرفاتها وقبابها وفيها البساتين التى جلبت إليها غرائب الأشجار ونوادر الأزهار من كل مكان وفيها ستة آلاف حمام وفيها عشرون ألف مسجد وفي نهر دجلة ثلاثون ألف زورق - وكان فيها أيضًا - وذلك منذ أكثر من اثنى عشر قرنًا - مصانع تصنع الزجاج والورق وتضرب النقود وتنسج أنواع النسيج وتطرز وتنقش - وفيها الاختراعات التى أدهشت أهل أوربا لما حملها وفود الرشيد مثل الساعة التى حملت إلى شارلمان حتى حسبوا أن في الساعة جنًا يقرع أجراسها.

وبغداد كانت محطة للقوافل من كل مكان لا تكاد تنقطع عنها لحظة من ليل ونهار تحمل إليها كل ذي علم وفن ونبوغ ويستقر فيها أحسن وأجمل ما تخرج الأرض من ثمرات الطبيعة ونتاج العقول وكان في بغداد ناس من كل جنس ومن كل لسان في الدنيا وكانت بغداد أمل كل طامح في المجد أو مؤمل في الفن.

الرشيد يحب العلم:

كان الرشيد يحب العلم ويسعى إليه وقد رحل هو وولداه الأمين والمأمون لطلب العلم وقراءة الموطأ على الإمام مالك من بغداد إلى المدينة كما يرحل الطلاب اليوم يقول السيوطي :

«لم يعرف عن ملك في الشرق ولا في الغرب أنه رحل في طلب العلم إلا هارون الرشيد الذي رحل إلى المدينة وصلاح الدين الأيوبي الذي رحل إلى الاسكندرية ولا أعرف لهما ثالثا ».

وجعل الرشيد لطلاب العلم رواتب يبلغ أعلاها أربعة آلاف دينار في السنة فما عرف زمان كثر فيه العلماء كثرتهم في زمن الرشيد حتى كان الولد يحفظ القرآن وهو ابن ثمان سنين ويحفظ الحديث ودواوين الشعر في الحادية عشرة ويناظر العلماء وهو ابن خمس عشرة سنة .

الرشيد يحب العلماء:

وكان للعلماء أسمى منزلة في مجلسه وكان يدعوهم إلى مائدته الخاصة . ويحكي عنه أنه صب الماء مرة بنفسه للمحدق بن معاوية الضرير وقال له: أتدرى من يصب عليك الماء؟ قال أبو معاوية : لا ، قال الرشيد: أنا ، ومع ذلك فإن أبا معاوية لم ير في هذا الأمر شيئا غريب وما زاد على أن قال في هدوء: «إنما أكرمت العلم يا أمير المؤمنين»، واستمر في غسل يديه .

وكان العلماء معه ثلاثة أصناف :

ـ صنف ينافق ليرضيه ويأخذ من دنياه وهؤلاء قليلون ولم ينالوا منه خيرًا كثيرًا ..

ـ وصنف يغلظ له القول ويشدد عليه الموعظة ويقوم بحق ا لله تعالى بلا مجاملة ولا رعاية للخلافة وهؤلاء قد تركوا الدنيا وكل ما فيها من جاه أو مال ـ فلم يعد يهمهم ملك ولا إمارة وهؤلاء كانوا لا يردون عطاياه وجوائزه ولكنهم حازوا احترامه وإكباره.

ـ وصنف كان يقول الحق ولكنهم كانوا يصوغونه في عبارات مقبولة ويعطونه

الدواء في صورة مقبولة ومن هؤلاء أبو يوسف القاضى والليث بن سعد .

أبو يوسف القاضي:

ولنقرأ في مقدمة كتاب الخراج لأبى يوسف لترى كيف كان يخاطب أبو يوسف الرشيد أعظم ملوك الأرض في ذلك الوقت .

لم يمدح أبو يوسف في مقدمة كتابه الخراج و لم يثن عليه و لم يذكر أفضاله على المسلمين و لم يرفعه إلى عنان السماء ولكنه نصحه ورسم له الطريق الذي يسير عليه في هذه الحياة ليكون في ذلك الخير للمؤمنين ولأمير المؤمنين قال:

«يا أمير المؤمنين: إن الله ـ ولله الحمد ـ قد قلدك أمرًا عظيمًا ـ ثوابه أعظم الثواب وعقابه أشد العقاب ـ قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت وأنت لخلق كثير قد استرعاكهم الله وأئتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم ـ وليس يثبت البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية ـ فإن القوة في العمل بإذن الله لا تؤخر عمل اليوم إلى غد ـ فإنك إن فعلت ذلك ـ أضعت كل شيء ـ إن الأجل دون الأمل فبادر الأجل بالعمل فإنه لا عمل بعد الأجل».

واستمر قائلا:

«إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدى الراعي إلى ربه فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته ـ ولا تزغ فتزغ رعيتك ـ وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب وكن من خشية الله على حذر واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ـ ولا تخف في الله لومة لائم واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان واتق الله فإنما التقوى بالتوقى ـ ومن يتق الله يقه ـ وإنى أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ورعاية ما استرعاك وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله» . ثم ختم أبو يوسف هذه المقدمة بقوله :

«وإنى لأرجو إن عملت بما في هذا الكتاب أن يوفر الله لك خراجك ـ أي مالية الدولة ـ من غير ظلم مسلم ولا معاهد ويصلح لك رعيتك فإن صلاحهم بإقامة الحدود

عليهم ورفع الظلم عنهم وبالتظالم فيما اشبه من الحقوق عليهم» .

وبقى كتاب الخراج نموذجًا من نماذج الاقتصاد الإسلامي بل والعالمي ـ كما بقيت مقدمته صورة لإخلاص النصيحة من المؤلف ولتقبل النصيحة من أمير المؤمنين.

الليث بن سعد :

كانت زبيدة زوجة هارون الرشيد أحب نسائه إليه ـ تناقشا مرة مناقشة عنيفة أقسم على إثرها بأنها طالق ثلاثًا إن لم يكن من أهل الجنة ـ ثم أحس بأنه وقع في مشكلة لا يدرى المخرج منها واستفتى العلماء فلم يجرؤ واحد منهم على أن يفتى فيها حتى جاء الليث بن سعد المصرى فوقف منه موقفًا غريبًا :

سأله : هل يخاف مقام ربه؟

قال الرشيد: نعم فأتى بالمصحف وحلفه بأوثق الأيمان بالطلاق والعتاق والخروج من الخلافة أنه لم يقل إلا الحق ...

فلماحلف الرشيد قال له الليث : أبشر يا أمير المؤمنين إن الطلاق لم يقع وإن لك جنتين لاجنة واحدة وذلك لقوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ .

ابن حبيب القاضى:

ولم يعرف عن الرشيد أنه بطش بعالم قسا عليه أو أغلظ له في القول أو النصح احترامًا للعلماء وتقديرًا لهم وإن كان التاريخ يحدثنا أنه كاد أن يفعل ذلك مع عمر بن حبيب القاضي.

يحدثنا التاريخ أن الرشيد ذكر أبا هريرة واتهمه بالكذب وقام عمر بن حبيب ورد على الرشيد بعنف وغلظة على هذه التهمة وأحرج الرشيد ودعا عمر أمامه ليأمر بضرب عنقه فقال عمر مناجيا ربه : «يارب إنى دافعت عن صاحب نبيك فدافع عني» .

والتفت إلى الرشيد وقال:

«إذا كان الصحابة كذابين كان الدين كذابا لأنه مروى عنهم» فهدأت نفس

الرشيد وتركه وشأنه .

هذا هو الرشيد:

هـذا هو الرشـيد الذي كـان يجاهد عامًـا ويحج عامًـا وإذا حج حج معـه ألف رجل ويقولون: إنه كان يصلي في الليلة مائة ركعة .

وإن كان بعض الكتاب يحلو لهم أن يصفوه باللهو والخلاعة والمجون أخذًا من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وشـاع ذلك في عصرنا الحديث على لسان من يريدون أن يظهروا تاريخ خلفائنا بمثل هذا ...

ولكن المؤرخ الثقة ابن خلدون ينفي ذلك عنه كل النفي .

وتبقى للرشيد بعد ذلك الصورة المشرقة :

صورته مع العلـم وصورته مع العلماء في اتسـاع الدولة وصورتـه في بغداد العاصمة وصورته مع الحضارة الإسلامية في أزهى عصورها.

نظرة القرآن الكريم إلى الإنسانية

القرآن الكريم:

ينظر إلى الإنسانية في التاريخ على امتداد الزمان والمكان على أنها وحدة ـ فالوجود من ماء ـ والناس كلهم من آدم وآدم من تراب يقول الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (المؤمنون:١)

وإذا كان أصلهم واحدًا فإن الحكمة من وجود شعوب وقبائل إنما هو للتعارف يقول الله تعالى :

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الحجرات: ١٣)

فالفرقة ليست طبيعية ـ ومهمة الأنبياء إعادة الناس إلى الفطرة السليمة ـ ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يربط الأنبياء جميعًا برباط واحد ـ ثم يربطهم جميعًا بخاتم الأنبياء محمد ﷺ ـ ولذلك كان من الخطر على المؤمن أن يؤمن بمحمد ﷺ ويترك نبيًا ما. يقول الله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾** (النساء ١٥٠ : ١٥١) لأنه سيقف أمام أصل ثابت بنيت عليه الإنسانية.

وفي سورة الأنبياء سرد سريع للأنبياء يعقب الله تعالى عليه بقوله:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ثم يقول **﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾** (الأنبياء: ٩٢ :٩٣) ثم يستمر السرد ليبين أن مشكلة البشرية تكمن في الاختلاف.

ويربط الإسلام بين الأنبياء باستعمال لفظ الإسلام فنوح عليه السلام يقول:

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس : ٧٢) وإبراهيم عليه السلام يقول : **﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** (البقرة :١٣١) ويبلغها لابنائه ويعقوب عليه السلام

يقول : ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة :١٣٢) ويوسف عليه السلام يقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: :١٠١) وموسى عليه السلام يقول لقومه ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس :٨٤) وعيسى عليه السلام يقول: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران : ٥٢) ثم يربط هذا كله بقوله تعالى :

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة : ١٣٦) ويرسم القرآن الكريم مبادئ هبوط دول وارتفاع دول حين يتكلم عن نهاية قوم عاد وثمود وسبأ ـ وأثبت ذلك في سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ (سبأ : ١٦) فقد كانوا في الأصل موحدين مع سليمان عليه السلام ثم تركوا ذلك فجزاهم ا لله تعالى بفعلهم وكشفت النقوش ذلك فذهب السد بالسيل العرم ونحن نؤمن بأن الدولة لاتقوم إلا على أساس الدين ـ والغربيون ينظرون غير هذه النظرة ويعملون على أن تكون نظرة المسلمين مثل نظرتهم ـ ولذلك نجد مؤسسات غريبة مثل مؤسسة فرانكلين تسير في هذا الاتجاه حتى لا تتكون دولة إسلامية مع أن رسول ا لله ﷺ أم الأنبياء جميعًا في المسجد الاقصى ليلة الاسراء وهو يعتبر قلب الدائرة للحضارات الوسطى فكأنه تسلم الراية وارتفع إلى السماء والقرآن الكريم يلقى أهمية كبرى على ربط الأنبياء جميعًا برباط واحد هو رباط السماء.

النبوات :

حين ندرس تاريخ النبوات نجد أن المؤرخين الغربيين قد فصلوا النبوات عن التاريخ ووضعوها تحت علم اللاهوت وعلم اللاهوت يمزج بين الفلسفة والتاريخ ـ ولذلك اختلفوا في فرعون موسى .

ويظهر أن اليهود تعمدوا أن يفصلوا كل شيء عن النبوات الأولى حتى لا تتعارض الآثار مع التوراة المحرفة وقد كان لليهود الدور الأكبر في طمس المعالم التاريخية

للنبوات.

ومما يلاحظ أن الذين تولوا الكشف عن الآثار المصرية مثلا كلهم من اليهود ولايمكن أن يكون هذا مصادفة ـ وقد اكتشفوا جثث ملوك من عصور قديمة تبلغ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ـ أما يوسف وإبراهيم وموسى فلا نجد كلمة واحدة عنهم .

والقرآن الكريم تكلم كثيرًا عن الأنبياء وما يقوله القرآن الكريم يتفق مع التاريخ ـ ومن ذلك دولة سبأ ـ فقد اكتشفت البعثة الامريكية الآثار كما ذكرها القرآن الكريم: دولة سبأ الأولى التى قامت على التجارة . ودولة سبأ الثانية التى قامت على الزراعة. وقد دلت الآثار على أن مدنا كثيرة أنشئت على شكل مستعمرات لتستقبل التجارة و لم يكن هذا معروفا من قبل نزول القرآن الكريم ـ وسد مأرب يستتبعه من قنوات تأخذ منه ـ فهذه الأخبار يجمعها القرآن الكريم في كلمات قليلة يقول ا لله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ (سبأ :١٨) وقد أثبت المؤرخون أنهم غيروا التجارة من البر إلى البحر للترف والظلم فحطمت أساطيلهم وجعلهم الله تعالى أحاديث وقد كتب كثير من العلماء عن هذه الدولة وأصبح المثل العربي (تفرقوا أيدي سبأ) مشهورًا عند جميع العرب.

ويلاحظ أن أكثر الأنبياء ورودًا في القرآن الكريم إبراهيم وموسى ـ فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وموسى عليه السلام رائد سلسلة أنبياء وملوك بنى إسرائيل الطويلة ولكل منهما دور واسع معقد متشعب في ميدان الدعوة إلى ا لله تعالى الواحد الأحد ـ والمساحة الزمانية والمكانية التي شغلاها ، والتى تؤكد معطيات الآثار المعاصرة على إقرارها وشمولها وخطورتها كانت الأسباب الحقيقية وراء هذا التأكيد في المواضع المختلفة على تجربة هذين المبعوثين الإلهيين مع عدد الجماعات .

العروض القرآنية:

يعرض القرآن الكريم مواقف الأفراد والجماعات إزاء عدد من الأحاديث التاريخية وردود الفعل التى أثارتها ـ وهناك عدد من التجارب التى مارسها أفراد عاديون سلبًا

كأصحاب الحجر وقوم لوط وإيجابيًا مثل أهل الكهف وأصحاب الأخدود وقادها ملوك وزعماء كبار مثل فرعون وقارون وذي القرنين ، وبعض آيات القرآن الكريم تتحدث عن المستقبل ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ (الفتح :٢٨)، وقد رأى رسول الله ﷺ كثيرا من هذا الذي وعد الله تعالى به المسلمين مثل غزوة بدر وفتح مكة والغرض من إيراد العروض التاريخية إثارة الفكر البشري والبحث الدائم عن الحق وتقديم خلاصة التجارب البشرية عبرًا يسير على هديها أولو الألباب يقول الله تعالى :﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾ (يوسف :١١١) .

تاريخ دعوة :

لم تكن فترة الفتوحات الإسلامية كلها انتصارات و لم تكن كلها هزائم ولكننا نلاحظ أن المؤرخين قد اعتنوا بمراحل الهبوط عناية كبيرة وكانت عنايتهم قليلة بمراحل الارتفاع ونحن لايهمنا من تاريخ الإسلام إلا أنه تاريخ دعوة لها أسس ترى إلى أي مدى تحققت هذه الناحية يقول الله تعالى ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ (الحج: ٤١) والله سبحانه وتعالى ما كان ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فإذا ما نادينا آلان بأنه لابد من تطهير الدول الإسلامية من الأعداء لنقيم المجتمعات المتقدمة التى يتوفر فيها الرخاء والأمن والسعادة فلابد وأن نربطهم بالأسس القرآنية .

وإذا جاء من يقول: إن أوربا وأهلها ملحدون ولها قوة حكمت العالم وكذلك أمريكا الآن فهل نستطيع أن نعمل ذلك؟ نعم إن ذلك لايمكن إلا بالإسلام ـ ولو استعرضنا فترة المد الإسلامي في أيام هارون الرشيد والهدوء التام في أيام السلاجقة الذين زحفوا على بغداد وأقاموا السنة ومرحلة الارتفاع في أيام صلاح الدين ومرحلة الانتصار في عين جالوت وتحطيم جيش المغول كله على يد قطز ـ لو استعرضنا ذلك لأدركنا أن انتصار المسلمين لا يكون إلا بالتمسك الكامل بالإسلام.

حروب المرتدين:

كل مؤرخ عسكرى يقول: إن انتصار المسلمين في حروب الردة كان معجزة أكثر من إحياء الموتى لأننا لو وضعنا خريطة المرتدين والمسلمين في الجزيرة العربية لعرفنا أن اليمامة وحولها كان بها مائتا ألف بينما الجيش الإسلامي كان لا يزيد على أربعين ألفًا وقد قطعت خطوط المواصلات من كل البلاد الإسلامية ولم يبق إلا مكة والمدينة والطائف ويتكدس المرتدون شمال مكة وشمال المدينة - وتدور عمليات غزو ساحقة لمحو الإسلام ثم تحدث المعجزة ويخرج جيش على رأسه خالد بن الوليد وينتصر - مع أن روح المرتدين المعنوية كانت عالية وتموينهم كان متوفرا - وبعد ستة أشهر تعيد الجيوش الإسلامية المحدودة العدد النظام إلى الجزيرة العربية كلها ويسقط ثمانون الفا في معركة اليمامة وحدها والسبب في ذلك يكمن في التمسك الكامل بالإسلام - فالإسلام كامل بروحه في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم وهم متفقون على أن هذا الخطر لابد وأن يزول والجميع خلف الخليفة وليس بينهم ثغرة واحدة .

وفي أيام الوليد بن عبد الملك وصل المسلمون إلى جبال البرانس وكماشة أخرى وصلت إلى القسطنطينية يقول المستشرق جيبون (لو استطاع المسلمون أن يعبروا نهر اللواء وأن يحطموا أسوار القسطنطينية لأصبح القرآن يدرس في جامعة اكسفورد ويقول مستشرق آخر: إن غرض المسلمين من هذه الكماشة الرائعة أن يخترقوا أوربا كلها حتى يصلوا إلى دمشق من الناحية الأخرى .

وصلاح الدين الأيوبي: حطم في حطين جيشًا قوامه مائة وعشرون ألفا - مع أن جيشه كان ثلاثين الفا واحتل القدس وعكا وتأتى أوربا بثلاثة جيوش أوربية تبلغ قدرة القوة الأولى نحو خمس عشرة مرة ولكنهم هربوا ثم تعود الأمور في المجتمعات الإسلامية إلى طبيعتها والسبب في ذلك أن صلاح الدين الأيوبي جمع المسلمين على الإيمان الكامل وهكذا نجد أن تاريخ الإسلام يسير سيرًا كاملاً مع قواعد القرآن وفي هذا خير معين لمن يدعو إلى الله على بصيرة ولن ينتصر المسلمون إلا إذا عادوا إلى التمسك الكامل بالإسلام .

دراسة التاريخ من وجهة النظر الإسلامية:

تتطلب منا أن ننظر في القواعد القرآنية المقررة لتطبيق التاريخ عليها ونرى إلى أي حد هي واقعة - فالقرآن الكريم يقول ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦) فبين أثر الترف والمجون في العصور المختلفة ويقول ايضًا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥) فبينت الآية أثر عبادة الله تعالى والاستقامة على منهجه - وبدراسة التاريخ دراسة تطبيقية نرى صدق هذه الآيات كما نرى كذب السياسة اليهودية النفعية التى يعبر عنها مكيافيلي بأن الإنسان يجب أن يصل إلى غايته من أي طريق فيكذب ويخادع وينافق حتى يصل إلى ما يريد.

وقد استطاع اليهود: أن يجعلونا ندرس التاريخ من وجهة النظر الغربية - ومع أنها تضر بهم وبعقيدتهم إلا أنهم لم يهتموا بذلك - لأنهم يرون أن هذه السياسة ستقضى على الإسلام والمسلمين وهذا ما يهدفون إليه - ولهذا فقد أصبحنا ندرس التاريخ الإسلامي دراسة سريعة مشوهة وأصبحنا نعنى بتاريخ أوربا وأبطالها .

إن القرآن الكريم يقدم لنا أصول منهج متكامل في التعامل مع التاريخ البشرى والانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع إلى محاولة استخلاص القوانين التى تحكم الظواهر الاجتماعية التاريخية - وهذا يتمثل في التأكيد المستمر على قصص الأنبياء وتواريخ الجماعات والأمم السابقة وعلى وجود سنن ونواميس تخضع لها الحركة التاريخية في سيرها وتطورها وانتقالها من حال إلى حال والقرآن الكريم يلقى ضوءًا إيضاحيًا على ذلك فيقول ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت :٥٣) .

والتفسير الإسلامي للتاريخ يستمد أسسه من آيات القرآن الكريم التى تعلو على الزمان والمكان - فهو ينظر إلى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحاتها كلها فروايته للأحداث رواية واقعية شاملة في امتدادها الزمنى الماضى والحاضر والمستقبل - فهو

تفسير واقعي دون تبديل أو تحوير ومن خلال ذلك ينطلق إلى أهدافه ومثالياته وآفاقه فهو يسمى غزوة حنين هزيمة وفرارًا ويخاطب مهزومي أحد بأنهم كانوا السبب وراء تلك الهزيمة ويعلم المسلمين ألا يبرروا أخطائهم وينحرفوا في تفسر الأحداث والوقائع ـ كما يعلمهم أن يأخذوا من هذه الرؤية الواقعية للتاريخ دراسة في صناعة العالم المرتجى.

والتفسير الإسلامي للتاريخ ينظر أيضًا إلى البعد النفسي الذي يغور في أعماق النفس البشرية فيلامس نظرة الإنسان وتركيبها الذاتي والحركة الدائمة في كيانه الباطني ويمتد ليشتبك في العلاقات الشاملة للمصير .

وهكذا نرى أن التاريخ يقدر في القرآن الكريم وحدة زمنية تتهاوى فيها الجدران التي تفصل بين الماضي والحاضر والمستقبل وتعانق هذه الأزمان عناقًا مصيريًا فتبدو حركة التاريخ التي يتسع لها الكون ـ حركة واحدة تبدأ يوم خلق الله السموات والأرض ـ وتبدو نزعة الإسلام الشمولية بانفتاحه الكامل على كافة القوى الفاعلة في التاريخ «العقلية والوجدانية والروحية والمادية» .

فلو أننا درسنا تاريخنا من وجهة النظر الإسلامية لاختلفت الدراسة ولاختلف التأثير ولاختلف المصير أيضًا .

تقسيم التاريخ من وجهة النظر الإسلامية:

القرآن الكريم يرى اكتمال الإسلام بمحمد ﷺ يقول الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (المائدة:٣) ومحمد ﷺ كان خاتم الأنبياء وبه اكتمل الإسلام ومؤرخوا الإسلام يقسمون التاريخ على النحو التالي :

التاريخ القديم: الجاهلية الأولى الكفر دولة والإيمان دعوة وذلك يشمل التاريخ حتى البعثة المحمدية .

التاريخ الوسيط: ويشمل الفترة من عهد محمد ﷺ فالإسلام دولة والكفر دعوة.

التاريخ الحديث :وفيه الإسلام دعوة والكفر دولة .

ومشكلات البشرية كلها تحلها دعوات الأنبياء عن طريق عبادة الله تعالى وحده ـ

وقد جاء الأنبياء لربط الناس جميعًا بالخالق سبحانه وتعالى وحده لاشريك له.. وعن هذا الطريق تحل كل المشكلات ويرتبط المؤمنون بأقوى رباط ويسيرون بالخير في طريق الخير ـ ذلك لأن العقدة الأولى تكمن في الإيمان بالله تعالى فإذا حلت هذه العقدة انحلت كل العقد ـ فإذا كانت الشيوعية مثلا تعالج مشكلة الفقر وحده فعن طريق هذه المحاولة وجدت مشكلات كثيرة كالضغط والإرهاب وغسيل ا لمخ والقتل والسجن والاعتقال ـ ومع ذلك فإن الشيوعية لم تستطع أن تحل هذه المشكلة لأنها لم تتجه إلى الحل الحقيقي لحل العقدة ـ ففي الإسلام الغنى والفقير يعبدون ا لله وحده لا شريك له وبذلك يسهل حل هذه المشكلة ـ والأنبياء عليهم السلام كانوا يعالجون كل المشكلات الاجتماعية من هذا الباب والقرآن الكريم كرر هذا المعنى بالنسبة للأنبياء جميعهم يقول الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (هود :٢٥) ويقول ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ٦٥) ويقول ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف : ٧٣) ويقول ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ٨٥) .

ونلاحظ أن البيئات الجغرافية مختلفة والأعمال مختلفة والحياة العقلية والنفسية مختلفة بين قوم وقوم ـ فإذا كان العلاج واحدا فذلك لأن العقيدة واحدة وعن طريق العقيدة تعالج كل المشكلات كنقص المكيال والميزان في قوم شعيب واتيان الذكور في قوم لوط ـ وحين تنحل العقدة الكبرى عقدة الشرك ويؤمن الشعب با لله الواحد الخالق فإن المشكلات الثانوية تنحل كلها في سهولة ويسر يقول العلامة الشيخ أبو الحسن الندوى رحمه الله تعالى في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) :

(انحلت العقدة الكبرى عقدة الشرك والكفر ، فانحلت العقد كلها وجاهدهم الرسول الجهاد الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهى وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى فكان النصر حليفه في كل معركة وقد دخلوا في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة وفي اليوم رجال الغد).

مَنْ ظَلَمَ التاريخ الإسلامي؟

نظر الغربيون إلى التاريخ الإسلامي من ناحية التوسع على أنها مرحلة انتقال من دولة إلى دولة ومن خليفة إلى خليفة ـ وسار على هذا المنهج المؤرخون المسلمون ـ وهذا يجعل التاريخ الإسلامي دولة ملوك لأنه ينظر إلى فترات طويلة من فترات الإسلام ويصبغها بصبغة واحدة فقالوا: إن المجتمع الإسلامي أموى ثم عباسي وهكذا ـ فهو إذا مصبوغ بصبغة الحكم ولذلك أصبحنا لا نفرق بين عصور تاريخ الإسلام ولا نرى إلا أنه تطور زمنى يسير مع الحكام وهذه مغالطة كبرى ـ لأنها تنظر إلى الحكومة وحدها ـ ولذلك ضاع من تاريخ الإسلام : المجتمع الإسلامي.

وإذا قرأنا كتب التاريخ الإسلامي ككتاب الطبرى والكامل لابن الاثير والعبر لابن خلدون والبداية والنهاية لابن كثير وجدنا أن الحديث عن المجتمع الإسلامي ومقدار اتصاله بحكومته ودستوره مشتت هنا وهناك ـ ولذلك أصبحت الرؤيا غير واضحة ـ فإذا وصلنا عن خليفة ما أنه مخالف للإسلام ، ونحن لا نعرف طبيعة المجتمع، فإننا نلصق النقص بالمجتمع كله، وإذا ما سمعنا عن السفاح وأعماله حكمنا على الشعب بأنه مقصر لأنه لم يأخذ على يد السفاح وإذا ما قرأنا عن الدولة الفاطمية ظننا أن الدولة كلها شيعية مع أن صلاح الدين الأيوبي لم يجد صعوبة في نشر المذهب السنى وقد رحمنا الله تعالى بوجود آثار قليلة في علم الرجال عن المجتمع لأنه يدرس تصرفات الشخص وما يحيط بها ولولا رجال علم الحديث وأسد الغابة ووفيات الأعيان والاصابة لابن حجر والدرر الكامنة وغيرها ـ لولا هذه الكتب لأحاط بالمجتمع الإسلامي غموض كامل ولولا المحدثون الذين يدرسون دراسة وافية لما وصلنا شيء كثير عن المجتمع الإسلامي .

إن المجتمع الإسلامي لم يتلوث أبدًا على الرغم من الصراع بين الأتراك والعباسيين

أو بين البوهيين والسلمانيين فهو صراع بعيد كل البعد عن الجمهور الإسلامي الذي كان معتنيًا بالإسلام ونشره ونشر الثقافة الإسلامية . نعم قد يحدث صدم هنا أو هناك ـ لكنه لا يؤثر في نشر الإسلام على عكس الوضع الموجود في أوربا ـ فقد ترتب على هزيمة المانيا أن ضاعت مستعمراتها كما ضاعت مستعمرات فرنسا في الهند أثر الحرب العالمية الثانية لأن الغزو اعتمد على الرأس فقط ـ لكن المجتمع الإسلامي كله كان يؤدى واجبه بغض النظر عن الحكومات ـ ولذلك نجد جيشًا مصريًا يخرج ليحطم المغيرين في عين جالوت وفي الوقت نفسه سقطت بغداد مركز الخلافة.

ولذلك فإنه لابد من دراسة التاريخ من هذه الزاوية لأن المسلم يعمل لوجه ا لله وينصر الإسلام ابتغاء مرضاة الله والمسلمون يعملون في أطراف الدولة لحفظ الإسلام بينما الخليفة قد يكون مشغولاً بأشياء أخرى وهذا ما يعجب له المتعمقون في دراسة التاريخ الإسلامي . وفي التاريخ الإسلامي لمعت أسماء كابن السماك وطاووس وابن كسان وابن تيمية وابن حنبل ـ وتاريخ كل واحد في ظهوره داخل الدولة كان يخيف الخلفاء ـ فأبو جعفر المنصور مثلا كان يدق بيده على يد أبى سفيان الثورى ويقوله له: لماذا لاتأتينا فيقول أبو سفيان : إن الله نهانى عن إتيانكم، وهذا يدل على أن الخليفة لم يكن كلّ شيء في المجتمع ، وقد ضُرِب ابن حنبل حقيقة ولكن على الرغم من هذا أملت روح المجتمع على الخلفاء أن يتراجعوا عما يفعلون .

قراءة التاريخ من وجهة النظر الغربية:

قامت أوربا بتأريخ العالم من وجهة نظرها فقسمته إلى ثلاثة عصور:

العصر الأول: ويبدأ من بداية العالم إلى سقود روما عام ٤٧٦م.

العصر الوسيط: ويبدأ من سقوط روما إلى سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م.

العصر الحديث: ويبدأ من سقوط القسطنطينية ويستمر إلى العصر الحاضر .

وطبقًا لهذا التقسيم اعتبر المؤرخون الغربيون أن العصر القديم هو عصر المدنيات وأن العصر الوسيط هو عصر الظلم والاضطهاد لأن البابا كان هو المسيطر والطاغى وأن العصر الحديث هو عصر إعادة القديم في حضارته .

وهذا التقسيم إذا استقام من وجهة النظر الغربية فإنه لا يستقيم من وجهة النظر

الإسلامية ـ ذلك لأن الأمجاد الإسلامية كلها وقعت في العصر الوسيط فقد ولد النبي ﷺ عام ٥٧٠م وتوفى في عام ٦٣٣م ومن وجهة النظر الإسلامية لا يعنينا في شيء سقوط روما لإننا ننظر إلى العصور القديمة على أنها عصور جاهلية .

نعم هناك حضارات كالحضارة الفرعونية ـ فالفراعنة بنوا الأهرامات وأبا الهول وبرعوا في التحنيط وكانوا يصهرون الذهب والمعادن وغير ذلك ـ وهذا لايعنينا من وجهة النظر الإسلامية لأنهم لم يستفيدوا من عبقريتهم العقلية الاستفادة المطلوبة ولذلك عبدوا غير الله وكانوا ملوكًا مستبدين يستذلون الناس ويستعبدونهم ويقسمون المجتمع إلى طبقات ـ لكل طبقة حدودها وفي النهاية فهم لم يفيدوا الإنسانية بشئ و لم يحلوا مشكلاتها ـ بينما يرى الغربيون أن هذا كل شيء لأنهم لا يريدون أن يتجهوا إلى غير هذا اللون من ألوان الحضارة .

ولذلك فإنهم يرون أن الخليفة المسلم لم يكن إلا صورة من صور البابوات في أوربا يستمد سلطته من الله ثم يستبد ويظلم ـ ثم إن الحضارة الإسلامية ، في نظرهم، لم تفد إلا في نقل تراث الحضارات القديمة إلى الحضارة الحديثة بدون أن تستفيد منه ـ وفي ذلك ظلم واضح للحضارة الإسلامية .

وترتب على هذا، من وجهة نظرهم أنه ينبغي على الشعوب الإسلامية أن تغفل هذه الحقبة التاريخية لتعود إلى العصور القديمة ، وعلى المصريين، مثلا أن يرجعوا إلى عصر الفراعنة ليأخذوا منها المثل ويفخروا بما فيها من تقدم ـ وأحيانا يتجهون اتجاها آخر حين يريدون من المسلمين أن ينظروا إلى خالد بن الوليد مثلا نظرتهم إلى نابليون ليقولوا: إنه لولا خالد وأمثاله لما انتصر الإسلام ـ مع أنه من وجهة النظر الإسلامية : إن الإسلام خلق هؤلاء الأبطال و لم يخلقوه ولو لم يوجد خالد وأمثاله لوجد غيرهم ليؤدوا واجبهم نحو الإسلام .

والآن آن الأوان لننظر إلى التاريخ الإسلامي من وجهة النظر الإسلامية حتى نعيد للإسلام مجده التالد ونجعل العالم يسير في الطريق المستقيم فيسعد السعادة التى تجعله قادرًا على أن يؤدى وظيفته في هذه الحياة فيرضى الله عنهم في الدنيا والآخرة ولمثل هذا فليعمل العاملون .

فكرة التاريخ في القرآن الكريم

يلاحظ أن القرآن الكريم يجسد التصور الإسلامي لرسالة الإنسان في هذه الحياة ـ فالإنسان خليفة الله تعالى في الأرض وقد تحمل أعباء إعمارها وبناء الحضارة السليمة ونشر القيم الإسلامية بين ربوعها . وقد دعا القرآن الكريم المسلمين إلى التعرف على ذاتهم الحضارية في قوله تعالى : ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج: ٤٦) .

وسنة الله تعالى في الكون تتمثل في دفع الناس بعضهم ببعض لولا ذلك لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم ا لله كثيرا ـ وا لله سبحانه وتعالى سينصر من ينصره ويمكن له في الأرض وقد بين الله تعالى صفات المؤمنين الملتزمين الذين تكفل الله تعالى بنصرهم فقال: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ (الحج : ٤١ ، ٤٢) . وقال تطمينًا للنبي ﷺ ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ(٤٢)وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ(٤٣)وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾ وبين سنن الله تعالى في الكون في قوله: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾ (الحج:٤٥) ثم بين أن السابقين الذين هلكوا بظلمهم لم يعتبروا بما حدث لسابقيهم فكانت عاقبتهم أن أهلكهم الله تعالى بظلمهم ـ لأن قلوبهم كانت عمياء فلم يعتبروا بما حدث لسابقيهم .

والعقل التاريخي في القرآن الكريم نتاج لتفاعل الإنسان مع بيئته في إطارها الزمنى وهو خير وسيلة لكشف ماهية الإنسان وقدرته على السير في الأرض والعمل الصالح المنتج .

ويطرح القرآن الكريم ، من خلال المادة التاريخية التى تتضمنها الآيات القرآنية، النتائج التى يمكن الخروج بها من دراسة التاريخ الإنساني ، وما يلاقيه الإنسان من فرد أو جماعة يكون نتيجة طبيعية للدور التاريخي الذي مارسه ويوضح أن التعبير التاريخي لايحدث فجأة إنما يحدث بسبب تراكم بطئ عبر الزمان للأسباب التى ينتج عنها تغيير تاريخي كبير بعد فترة زمنية طويلة .

والمادة التاريخية: في القرآن الكريم تقوم أساسًا على أن للتاريخ معنى أخلاقيًا وروحيًا محوره دور الإنسان باعتباره خليفة وبوصفه مسؤولا عن تعمير الأرض ونشر العدل والأمن والسلام فيها وذلك في سورة الأعراف وهود والأنبياء والشعراء والقصص وغيرها وابن خلدون يقول في ذلك : (اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ أنه يوقفنا على أحوال الماضى من الأمم والأنبياء في أداء رسالتهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاهتداء في ذلك في أحوال الدنيا والآخرة) .

ولكن يلاحظ أن التاريخ الإسلامي كتب بأقلام مسمومة فسرت التاريخ الإسلامي تفسيرًا ماديًا وحجبت التراث الإسلامي الأصيل وهاجمت الشخصيات اللامعة في تاريخ الفكر الإسلامي . ومن العجب أن صاحب العقد الفريد جاء بقصة عن معاوية تسقطه كإنسان وهو أنه وضع السيف على رقاب أصحاب رسول الله ﷺ في مسجد الرسول ـ وجاء أيضًا بقصة عنه تصل به إلى مرتبة الملائكة وهي أن امرأة خرجت عليه فأكرمها فماذا نقول عن ذلك ؟

وقد كثرت الانحرافات في كتابة التاريخ الإسلامي واتبعت في كتاباته وفي تدريسه مناهج وأفكار ومبادئ غريبة عليه فالقدامى جمعوا الأخبار صحيحها وسقيمها ودونوها في كتبهم دون تحليل أو تقويم ـ والمعاصرون قاموا بصياغة التاريخ الإسلامي وعرض المادة التاريخية وتفسيرها وفق منظومات وتفسيرها وفق منظومات ومناهج غير إسلامية .

المؤامرات التاريخية ضد التاريخ الإسلامي

أول شخص وضع البذور الأولى في المؤامرات ضد الإسلام هو عبد الله بن سبأ اليهودى الذي ارتدى رداء الإسلام حتى يحقق أهدافه وقد عرض تصورًا مبالغًا فيه في حب أهل البيت وجعل الخلافة حقًا موروثًا لعلى بن أبى طالب وجعل خلافة عثمان بن عفان غير شرعية ونشر فكرة الحق الإلهى في الدولة وإبطال الشورى - إلى جانب أبو لؤلؤة المجوسى الذي ادعى الإسلام كذبًا وكان له دوره في مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد أدخلوا في الإسلام ما ليس فيه ألصقوا بسير رجاله ما ليس فيهم. وكان في عصر الخلفاء بعض الأيدى الخفية التى عملت على إيجاد الخلافات وتوسيعها ولذلك ألف القاضى أبو بكر بن العربي كتابه (العواصم من القواصم) الذي كان يأتى بما سماه (القاصمة) ثم يبين أن ذلك لا أصل له ولا سند وبذلك يعصم الإنسان نفسه حين لا يصدقها - إلى جانب حركة الملاحدة والقرامطة والباطنية.

وفي العصر الحديث

نجد القاديانية والبهائية وغيرها من الطوائف الدخيلة الى تلقى المعونات والتوجيه من المستعمرين والمبشرين لتضر بالإسلام والمسلمين .

وهذه الطوائف تقلس زعماءها وترفعهم إلى مرتبة فوق البشر وتشرع لأتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغلة اسم الإسلام لهدم الإسلام .

وقد ركز الغرب تركيزًا شديدًا على التاريخ الإسلامي الذي أفسده إفسادًا شديدًا بأن أبرز عناصر الخلاف وركز عليها مع أنها قليلة جدًا في التاريخ الإسلامي الذي امتد إلى أربعة عشر قرنًا من الزمان وتجاهل تمامًا جوانب القوة والبطولة إيمانًا منه بأن تشويه تاريخ الأمة الإسلامية هو عامل مهم في التأثير النفسى على شبابها حتى ينفروا من قيمهم ومبادئهم ومن هنا فقد اهتم بإثارة الشبهات حول البطولات الإسلامية وإثارة الشبهات نحو الشخصيات الإسلامية البارزة بهدف تصغيرها في نظر المسلمين.

كما وجهت الشبهات إلى تاريخ النبي ﷺ وصحابته ووصفت الغزوات بأنها تطلع إلى الغنائم كما جرى التشكيك حول انتصارات المسلمين وحول الفترة القصيرة التى

تمكنوا من خلالها إلى إقامة دولتهم الكبرى .

ونحن في حاجة ماسة إلى دراسة حركات القرامطة والإسماعيلية والباطنية والحشاشين والتتار والحروب الصليبية على أفق الشرق وحروب الفرنجة على أفق المغرب الإسلامي ودراسة العوامل والخلفيات التى كانت وراء تآمر القوى الصليبية الغربية مع التتار وغيرهم .

ولابد من الإشارة إلى محاولات تشوية شخصيات إسلامية عظيمة مثل شخصية هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي وطارق بن زياد وابن خلدون كما فعل جورجي زيدان في روايات تاريخ الإسلام وقد أساء بذلك إلى كثير من أبطال الإسلام وعلمائه ومن هؤلاء معاوية بن أبى سفيان الذي استعمله رسول الله ﷺ في الكتابة له واضطلع بأعباء الخلافة عشرين سنة فكان قوامًا بالعدل محسنًا إلى الناس من كل الطبقات والتزم بأحكام الشريعة .

الدولة الأموية :

لقد بذل معاوية جهودًا عظيمة لإعداد القوات الإسلامية بحزم ورفق وإيمان التى رغب في إرسالها إلى القسطنطينية وجعل على رأس هذه الحملة ابنه يزيد واستهدف معاوية من وراء ذلك اعطاء ابنه فرصة يعلى فيها من ذكر اسمه في ميدان الجهاد ضد البيزنطيين والرد بذلك على الاشخاص الذين أبدوا امتعاضهم من يزيد بسبب الدعايات المعادية لبنى أمية وعدم أهليتهم لتصريف شؤون المسلمين ـ ومن ثم كان ميدان القسطنطينية خير مجال يعلن فيه عن مواهبه الحربية .

وعلى ضفاف البسفور انضم يزيد إلى القوات الإسلامية وعبر مياه هذا المضيق إلى الشاطئ الأوربي ـ وحقق لجنده سبقهم على أقرانهم من جند الإسلام في مواجهة أسوار القسطنطينية والوقوف أمامها يدفنونها بآلاتهم الحربية ويعملون على إحداث ثغرات فيها وقد أظهر يزيد في هذا الحصار من ضروب الشجاعة ما أكسبه لقب :(فتى العرب) .

ولذلك فإن عصر الدولة الأموية جدير بالبحث والدراسة فبعد فتح القسطنطينية

أخذ الإسلام في الانتشار في البلاد التى دخلت في حظيرة الدولة الأموية وقد تم بعد ذلك غرس جذور الوحدة اللغوية والثقافية التى مازال رباطها يصل بين الشعوب الإسلامية حتى الوقت الحاضر - وكان التوفيق حليف بنى أمية في خطواتهم لإعزاز دولة الإسلام لأنهم عملوا على جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية منذ تقلدوا مركز الصدارة في هذه الدولة .

الدولة العباسية:

قامت الدولة العباسية على أساس معارضة الأمويين ولذلك أصبحت الكتب التاريخية في العالم يسودها طابع العداء للأمويين .

وقد بدأ الاستشراق أساسًا لطعن الإسلام وتشويه صورته وقد امتلأت قلوب المعارضين للإسلام بالعداوة له توارثها جيلا بعد جيل - وهي روايات اعتمدت على الشائعات واتسمت بالجهل بالحقائق والعداوة الصارخة للإسلام.

والاستعمار الغربي : هاجم الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخًا وحضارة - مع أنهم قد أخذوا من الإسلام الأخلاق والعلوم والفنون والفروسية والحمامات واحترام المرأة والبابا سلفستر الثاني كانت مفخرته الكبرى أنه تتلمذ على المسلمين في قرطبة وتعلم لغتهم ودرس علومهم - ومع ذلك ينكرون كل ذلك ثم حاولوا تشويه الإسلام وحضارته وتاريخه أمام المسلمين أنفسهم حتى يحيدوا عن الطريق السليم وقد ظهرت طبقة من المستشرقين لا عمل لها إلاتشويه الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي والتركيز على الشخصيات الملحده والمنافقه - إلى جانب تضخيم خلافات المسلمين بعضهم مع بعض وقد أخفوا جوانب العظمة في التاريخ الإسلامي أفرادًا وحكومات وطبقات منسجمة متوازنة متكاملة ولم يتورعوا عن محاولة النيل من شخصية الرسول ﷺ وشخصيات الصحابة والتابعين والدول الإسلامية المتلاحقة كما يقول منصفوا الغربيين وعلى رأسهم برنادشوومايكي هارت ولومون.

وقد خطط الاستعمار لذلك ونفذ وأنفق الكثير والكثير من الأموال للسيطرة على الشعوب الإسلامية وفصمها عن عناصر قوتها وركائز حضارتها ومن أعداء الإسلام

القرامطة والشيوعيون .

ومع ذلك كله استطاع الإسلام أن ينتشر وأن يهدى الناس إلى الطريق المستقيم .

وقد وصل المسلمون بالحضارة إلى مدارج عالية وإلى أن يرتقى المجتمع رقيًا كبيرًا وقد اتسعت الفتوحات الأمر الذي جعل الغرب يعلن الحروب الصليبية التى فشلت في إطفاء نور الإسلام .

وقد بدأ الاستشراق: في محاربة الإسلام ابتداء من القرن الحادى عشر الميلادى في حركات منظمة ـ وبعد عدة قرون بدأ فولتير وهيليزت ودامتى وغيرهم في طبع أبحاث علمية معادية للإسلام.

وفي القرن الثامن عشر الميلادي بدأ دور الاستشراق في عداوته للإسلام وأخذ يخطط وينظم وينشر أفكاره واضعًا السم بين صفحات تاريخ الإسلام ـ وزاد ذلك خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين متخفيًا في ظل رداء أسلوب الفكر العقلي القائم على البحث والتحليل والنقد .

وقد نجحوا في خداع البسطاء الذين انطوت عليهم حيل المستشرقين الحقيقية ومن هؤلاء مرجليوث الذي اتهم السيدة خديجة ورسول الله ﷺ اتهامات باطلة فيقول:

(إنهما كانا ، وهما نائمان، يقومان بعبادة صنم يدعى «عزي» وذلك ليثبت أن عبادة الأصنام تركت أثرها على رسول الله وقد أراد المستشرق «وليم ديمور» أن يثبت من خلال قصة الراهب بحيري ، أن واقعة لقاء الرسول مع الراهب كانت سببًا في كراهية الرسول لعبادة الأوثان كما أنه عمل على أن يثبت أن القرآن الكريم من كلامه وأنه قد استعان بالتأثيرات المسيحية في منطقة الشام واستفاد من تعليمات الإنجيل والتوراة) .

وقد قام المستشرقون وأتباعهم من المؤرخين الجدد بإلصاق شبهات متعددة بتعاليم القرآن والسنة والمستشرقون يقولون: إن المسلمين الأوائل كانوا فقراء ـ ولذلك هاجروا إلى المدينة لكسب الرزق ولذلك قاموا بالإغارة على القوافل التجارية وذلك كله غير صحيح من الناحية التاريخية .

كمـا أن عددًا من المستشـرقين قـالوا: إن الإيذاء الذي وقـع بالمسـلمين مـن جانب قريش كـان قاصرًا على السخرية والشتائم وقالوا: إن الحركـة الإسلامية كانت حركة اقتصادية واجتماعية أكثر منها دينية ـ مع أن الواقع يثبت أن المسلمين حرروا الشعوب من عبوديـة الإنسـان لغير الله تعـالى ورفعوا عـن كـاهلهم الثقل الاقتصـادي وأعطوا البشرية الحرية الدينية وأقاموا الأمن والنظام وأصلحوا كل جوانب الحياة .

ولذلك كان أهالى البلاد المفتوحـة يرحبون دائمًا بالفـاتحين من المسلمين لأنهم رأوا أنهم منقذوهـم من ظلم الحكـام وبـالتدريج دخلوا في دين ا لله أفواجـا وتعلموا العربيـة وقبلوا الثقافة الإسلامية وانتشر نور الإسـلام في جميع البلاد التى تمثـل العالم الإسلامي كله .

يقـول سـير تومـاس أرنولـد في كتابـه (الدعـوة إلى الإســلام) لقد تحـول البدو والمسيحيون إلى الإسلام ويمكننا أن نحكم على الصلات الودية التي قامت بين المسلمين من العـرب وبين المسـيحيين بـأن القـوة لم تكن عـاملاً في تحويل النـاس إلى الإسـلام، والتسـامح الإسلامي يشـمل الذين ظلـوا على المسيحية، وقد أخفق هرقـل في محاولته التوفيق بين ديانته وبين الدين المسيحي .

وفي ظـل الإسـلام كـان المسـيحيون يعيشـون آمنين علـى حياتهم وعلـى ممتلكاتهم نـاعمين بهذا التســامح الذي منحهـم حريـة التفكـير الديـني والسـير على منهاجـه في حياتهم.

لقـد فتحت مصر علـى أيدى العرب وقد رحـب الأقبـاط بهم لإنقـاذهم من الحكم البـيزنطى الذي كـان يعذبهم ويقتلهم ولذلـك هرب عدد كـبير منهم وتظـاهر بعضهم بقبولهم قرارات مجمع خلدونية .

ثم إن انحلال الكنيسة التدريجي ما هو إلا دليل على تسامح المسلمين .

ولذلك خطط الغربيون لتدمـير الإسـلام وبخاصة بعد فشـل الحروب الصليبية، يقول فلادسـتون: (ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدى المسلمين فلـن تستطيع أوربا السيطرة على المشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان) .

ويقول المستشـرق غاردنر «إن القـوة التى تكمن في الإسـلام هي التي تخيف أوربا»

خطط الغرب لتدمير الإسلام :

لقد أعد الغرب ، بعد فشل الحروب الصليبية ، خطوات أخرى لتحقيق أهدافه وتتمثل في :

١ـ القضاء على الحكم الإسلامي بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية وجعل تركيا تقطع صلتها بالإسلام والمسلمين.

٢ـ القضاء على القرآن الكريم ومحوه لأنهم يعتبرون القرآن هو المصدر الأصلي لقوة المسلمين ـ وبقاؤه في أيديهم يؤدى إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم. يقول المبشر وليم جيفورد بالكيراف : (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن البلاد العربية فإنه يمكننا حينئذ أن نجعل العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه).

وقد قامت فرنسا بدورها في إبعاد الجزائر عن الإسلام ومن ذلك أنهم قاموا بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية وألبستهن الثياب الفرنسية ولقنتهن القيم الفرنسية فأصبحن كالفرنسيات تمامًا .

وبعد عشرين عامًا من الجهود هيأت لهن حفلة تخريج رائعة دعى إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون ـ ولما بدأ الحفل فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات وهن يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائرى فثارت الصحف الفرنسية وتساءلت: ماذا فعلت فرنسا في الجزائر بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا ؟ فأجاب لاكوست وزير المستعمرات الفرنسي: (وماذا أعمل إذا كان القرآن أقوى منا؟).

٣ـ تهديد أخلاق المسلمين وعقولهم وإطلاق العنان لشهواتهم يقول «باكتول» إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التى نشروها بها سابقًا ـ بشرط أن يخضعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول لأن هذا العالم لايستطيع الصمود أمام روح حضارتهم .

٤ـ القضاء على وحدة المسلمين يقول القس سيمون: إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوربية .

٥ـ إبقاء المسلمين ضعفاء عن طريق إنشاء دكتاتوريات سياسية في العالم الإسلامي

يقول المستشرق ولاسيت الامريكي الخبير بشؤون باكستان (إذا أعطى المسلمون الحرية في العالم الإسلامي وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام سينتصر في هذه البلاد والدكتاتوريات وحدها هي التى يمكنها الحيلولة بين الشعوب الإسلامية وبينها وينصح مروربر تايم في كتابه (الحكومة الأمريكية) بأن تنشئ في البلاد الإسلامية دكتاتوريات للحيلولة بين الشعوب الإسلامية وبين دينها فتحول دون عودة الإسلام إلى السيطرة على الأمة الإسلامية وبالتالى لاتستطيع الانتصار على الغرب وعلى حضارته .

٦ـ إبعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية ومحاولة جعلهم مستهلكين لسلع الغرب وقد نجحوا في ذلك نجاحًا واضحًا .

٧ـ إفساد المرأة وإشاعة الانحراف الجنسى يقول المبشران بلتغان: لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات بالقاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكاوات ـ ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجمع فيه مثل هذه العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحى وبالتالى ليس هناك من طريق إلى تقويض حصن الإسلام إلا من هذه المدرسة.

وقد حكى قادم من الضفة الغربية أن السلطات الصهيونية تدعو الشباب العربي بحملات منظمة وهادئة ، إلى الاختلاط باليهوديات وبخاصة على شاطئ البحر وتتعمد اليهوديات دعوة هؤلاء الشباب إلى الزنا بهن ، وإلى جانب ذلك فإن السلطات تلاحق جميع الشباب الذين يرفضون هذه الصلات بحجة أنهم من المنتمين إلى الحركات الفدائية .

ومن المؤمرات التى نفذها الغرب على التاريخ الإسلامي : إلغاء التاريخ الإسلامي من المدارس ومن التعليم الابتدائي بالأزهر ، إلىجانب تضخيم تاريخ الفراعنة وغيرهم على حساب التاريخ الإسلامي والادعاء بأن العصر العباسي كان عصر الجوارى والغناء وأن حياة الخلفاء العباسيين كانت حياة لهو ومجون وأن الحضارة الإسلامية كانت حضارة عنصرية .

وقد نجحوا في نشر مفهوم القومية العربية الذي يطمس الهوية الإسلامية للعرب

واختزال وتشويه تاريخ الدولة الإسلامية بالصف الثاني الإعدادي الأزهرى .

وقد قامت بريطانيا بتنصير سكان جنوب السودان ولذلك فقد عزلته عن الشمال عزلا تامًا وغيرت الاسماء العربية إلى أسماء أوربية أو قبلية ومنعت المسلمين في الجنوب من ممارسة الشعائر الإسلامية وبدأ التبشير برياض الأطفال والمدارس الخاصة ثم الجامعات إلى جانب إثارة الفتن بين الشمال والجنوب .

وأخيرًا

ظهرت القاديانية والبهائية والروحية الجديدة ـ وهي طوائف دخيلة على الإسلام وهي تلقى المعونة والتوجيه من المستعمرين والمبشرين واليهود وهم يعملون على تحقيق ما يسمونه : (ضرب الإسلام بالمسلمين) .

وهذه الطوائف : تقلس زعماءها وترفعهم فوق مستوى البشر ومحاولات هذه الفرق تهدف إلى :

١ـ محاربة اللغة العربية وذلك بتبديل اللغة الفصحى باللهجات العامية واستنكار عالمية اللغة العربية .

٢ـ ادعاء نبوة جديدة ودين جديد ناسخ لكل الأديان بحيث يدخل الجميع في دين الماسونية وهي دين الحب كما يسمونها .

٣ـ الدعوة إلى السلام العام وهي دعوة إسرائيل التى ترمى إلى خدعة البشرية تحت اسم (زوال الحروب) .

٤ـ مساواة النساء بالرجال وإبطال شريعة الإسلام وأحكامها .

والبهائية: تدعو إلى الاختلاط التام بين الرجال والنساء وهو طريق إلى الإباحية الجنسية واتخاذ المرأة للمتعة التى يتمتع بها الرجال كيفما يشاؤون ومتى يشاؤون وذلك لتدمير الأسر وانحلالها .

والقاديانية هدفها إعادة عهد الوثنية الأولى وأخذ اسم الإسلام وإطلاقه على عقائد مختلفة .

والروحيـة الحديثة : تركـز على هـدم الأخلاق وتـبرير الجرائـم وتقول: إن حيـاة الآخرة هي حياة الدنيا وإن العالم الآن يتهيأ للقرآن الجديد الذي تأتى به الأرواح لتبعد العالم عن الشرور . وهم يعملون على إبعاد الشخص عن دينه .

أوربا المادية :

أوربا المادية واضحة جدًا في كتـاب (ماذا خسر العالم بانحطـاط المسلمين؟) للعلامة الشيخ أبو الحسـن النـدوى رحمه الله تعـالى إذ قال: (أصبح الكفر دولـة والإيمان دعوة ويجب أن نبرز الأزمـات التى تحيط بالعالم من جـراء ترك العلاج الصحيح وأنه لا دواء إلا بالإسلام).

وقد ظهر المبدأ القومي وتكتلـت الشعوب على هيئـة قوميات ـ وأصبحت الشعوب تغرس ذلك في نفوس الأطفـال فيرسـخ في ذهنهم أن الدفـاع عن الوطن هو كل شيء ولـو عارض الدين ـ ولذلك نسـمع في كل بلد نشيدًا خاصًـا ومن ذلك نشـيد إيطاليا الذي يقول: (لا تحزنى يـا أماه فإنى ذاهب إلى إفريقيا لأطأ بقدمى فوق أرض الرسول لاتبكى على فسأقتل المسلمين) .

ونجد المصرى يتغنى بالأهرامات والنيـل ولازالت التماثيل تملأ الميادين وتجعل الرجل الـذي يعمل للوطـن أهم من الـذي يعمل للديـن ـ وقد تأثرنـا بهـذا المنظور حين كتبنـا تاريخنا الحديث ـ فنحن نمجد محمـد على لأنه حـارب تركيا وإسمـاعيل لأنه جعل مصر قطعة من أوربا وهكذا .

ولذلك فـإن كل الحركات الدينيـة تشوه من هذا المنظور فالحركة السنوسـية قامت على أسـاس دين ودولة لتطهر العـالم الإسلامي وسـلطته الروحيـة وانضم إليها نخبة من المجاهدين ، ولكن هذه الحركة صورت على أنها حركة لليبيا فقط ولذلك وقف العالم العربي يتفرح ، بـل إن بعضـه أسـهم كمصر في صـد السنوسـين عـن مصر ـ وفي عام ١٩٢٩م تنازلت مصر عن و احة جغبوت لإيطاليا وكانت هي التى تمول السنوسيين.

وحركـة الوهـابيين حركـة دينيـة ـ ومع ذلك فقد تأثرت بهـذه المفاهيم فدعت إلى فصل الحجاز عن تركيا ، لأن سموم الحضارة الغربية جعلتنا لا ندرك أهمية هذه الحركة

ولانفهمها على حقيقتها .

وهـذا المفهوم أضـاع فلسـطين وجعل حركـة محمد على جنـاح الذي قـام بفصل باكستان عن الهند لإقامـة دولـة إسـلامية تصور على أنهـا حركة انفصاليـة وقد وقف يطلب من المسلمين أن يعينوه ولكنهم تركوه وحده ، ولذلك اضطر إلى أن يمد يده إلى الإنجليز ، ونحن حين نـبرز للناس هذه المعـاني فإننا نعيـد إلى التاريخ الإسـلامي (الميزان الحقيقي).

وفي هذا الأيام توجد حركة (حزب دار السلام) في اندونيسيا ، وهـم يعتقدون أنهم لن يكونوا قـوة فعالـة إلا إذا تمسـكوا بالإسـلام كـاملا ولكن اندونيسـيا مشـغولة عنه بالحركـة القوميـة ، ولـو أنهم عملـوا بالمفـاهيم الإسـلامية لمـا جـرؤ الهولنديون على استعمارهم .

وسـائل الإعلام: لعل استخدام وسـائل الإعلام على الوجه الذي يريده الغربيون ، ما هـو إلا سـلاح من أمضى أسـلحة الغزو الفكرى وهـو وسـيلة من أنجح الوسـائل لما للكلمـة المسـموعة أو المرئيـة من أثر فعـال في النفوس إذا أحسـن المتكلـم أو الكاتب استخدمها .

وقد أسـدت الصحافـة الخدمـات الكثيرة للغزاة حـين أفسـحت صفحاتها لأقلامهم تبعث الأفكـار اليومية ، وبذلك راحت تحـارب القيم الإسـلامية تحت اسـم الحرية تارة وتحت اسم التقدم تارة أخرى .

وحتى وقتنـا الحـاضر نجد أن هنـاك صحفًـا ودور نشـر لاتزال تعمل في بلادنـا من خلال توجيهات غربيـة ومن خلال مـا تصدره من أفكار ومـا تهدم من قيم ومـا تنشر من أباطيل.

نعم إنهـا تعمـل بشـتى الأسـاليب على هـدم القيم الإسـلامية مـن خلال الكلمـة والصورة والقصـة والكتـاب وهم يعملون علـى إضعـاف روح الإخاء الإسـلامي عن طريق احياء الشعوبية التى كانت قبل الإسلام وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم.

لقـد ألف المستشـرقون نحـو ٦٠ الف كتـاب ضد الإسـلام ونلاحـظ أن ضعف

المسلمين وتفرقهم هما أكبر خدمة يقدمها المسلمون لأعدائهم ، وإن كل صور الغزو الخارجية: السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية تجعل خللا كبيرًا في البناء الداخلي للأمة الإسلامية ، وذلك ينشأ من الفصام الفكرى الذي وقع في حياة المسلمين وبين شريعتهم وأصول حضارتهم يقول الفيلسوف الغربي توماس أرنولد في كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية): لابد من أن يعى المسلمين الطاقات المبعثرة في الحركات الإقليمية وأن يعملوا على خدمة الهدف العام المشترك والذي يتلخص في :

١ـ العودة إلى القرآن وجعله مصدر أساسيًا لتنظيم حياة الفرد والجماعة.

٢ـ اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد المبشرين المسيحين لأنهم كانوا طلائع الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية والذين مهدوا له الطريق للسيطرة على البلاد وامتلاك ثرواتها ومن هذه الإجراءات : مقاطعة مدارس التبشير والوقوف بجانب المسلمين في كل مكان.

والأستاذ أنور الجندى رحمه الله تعالى يطلب من المسلمين أن يتحولوا إلى الإسلام في كتابه الذي كتبه تحت عنوان (من التبعية إلى الأصالة) .

وقال : للثقافة الإسلامية ذاتيتها الخاصة فقد عمد النفوذ الأجنبي أول ما عمد إلى هدم ثلاث دعائم في كيان الأمة الإسلامية:

١ـ حجب الشريعة الإسلامية في نظام الحكم .

٢ـ تغيير نظام الاقتصاد بفرض الربا .

٣ـ تغيير مناهج التربية والتعليم وإخراج القرآن من البناء الثقافي وتفريغه من روح الإيمان بالله تبارك وتعالى ومنهج التكامل والترابط من القيم وأخلاقية أسلوب الحياة.

وقد أسقطت الصحوة الإسلامية دعوات الوحدة الوطنية وفصل الروحية عن المادية وفكرة تطوير الدين والشريعة واللغة كما أسقطت فكرة القومية العربية الاشتراكية ويكشف زيف مقدرات الحضارة التى قامت على أساس العنف ونهب ثروات المسلمين والتى لم تستطع أن تقدم للعالم نموذجًا حضاريًا يرتقى بعلاقات الإنسان بأخيه الإنسان .

والإسلام لايقر صراع الأجيال ولا صراع الطبقات كما يرى الغربيون ولكنه يؤمن بتلافى الأجيال والطبقات حتى يقيم علاقة التوازن والتكامل .

ويلاحظ أن الذين يدخلون الإسلام في الغرب هم الذين تثقفوا ثقافة عالية ومنهم مفكرون وعلماء وفلاسفة وأطباء وقسس ورهبان كانوا يدعون لدينهم .

كما يلاحظ أن المسلم لايخرج من دينه إلى دين آخر . وكما يلاحظ أن الغربيين بدؤوا يحسون بأهمية المفاهيم الإسلامية في حياة الشعوب ولذلك فقد أباحوا الطلاق بعد أن عارضوه معارضة شديدة ، كما حرمت أمريكا الخمر فترة ثم أباحتها والآن يفكر الغرب في تحريمها بسبب حوادث الطرق التى كثرت بسبب شرب الخمر يقول اليزابيت زنى في كتاب ظهر في فرنسا تحت عنوان (من دين لآخر) .

إن الإسلام يلاقى صدى طيبًا في نفوس الغربيين فيدخلون فيه عن طواعية عندما أفلست كل النظريات في إسعادهم ولم تعد دياناتهم قادرة على إطفاء ظمئهم الروحي، وقد فقدت المسيحية الكثير ولم تبق كما هي وعجزت عن فهم الحياة التكاملية التى هي عندهم أهم شيء .

وقد سقطت الحضارة الغربية المادية باعتراف أهلها ولذلك فإنه لابد من الاعتراف بدور الإسلام وتسجيله في مقدمات تاريخ العلوم الحديثة لأن الإسلام قادر على أن يصحح للحضارة الإسلامية منطلقها وأكبر مشكلة بيننا وبين الفكر الغربي تظهر في قضية التكامل بين الروح والمادة .

والإسلام له حضارة لاتضارعها حضارة أخرى في اتساع أفقها وإنسانية مبادئها وأوربا نظرت إلى الحضارة الإسلامية نظرة استكبار ـ والحروب الصليبية ما هي إلا حروب استعمارية لما لها من سلب ونهب وتقويض لحضارة الإسلام وتحويل الأفكار عنها .

لقد فشلت الحروب الصليبية ولكنها نقلت إلى أوربا المفاهيم الإسلامية التى جاءت لتحاربها .

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ :

يقول العلامة أبو الحسن الندوى في كتابه: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ انحلت العقدة الكبرى ، عقدة الشرك، فانحلت معها كل العقد وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى وكان ذلك أغرب انقلاب في تاريخ البشرية ـ وظهر تأثير الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول وظهر وخز الضمير إذا ما أخطأ الإنسان، إلى جانب الثبات أمام المطامع والشهوات والأنفة والعزة والاستهانة بالمظاهر الجوفاء إلى جانب الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة وقد تحول من دخل في الإسلام من الأنانية إلى عبودية الله وحده وأصبح كل فرد راعٍ ومسؤول عن رعيته وآمن الجميع بأنه لا عصبية لجنس أو لون أو قبيلة وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحل رسول ا الله ﷺ من أصحابه محل الروح والنفس من المجتمع وظهرت نوادر الحب والتفاني كما ظهرت عجائب الانقياد والطاعة لإرادة ا الله تعالى .

وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه تربية كاملة حولتهم من خامات البشرية إلىعجائب الإنسانية .

القيادة الإسلامية : وقد أصبح المسلمون أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية يحكمون بها الناس ولم يتولوا الحكم إلا بعد تزكية نفوسهم وتربيتهم التربية الخلقية الكاملة المتكاملة ، ولم يكونوا خدمة جنس ورسل شعب أو وطن يسعون للرفاهية والإنسان جسم وروح وقلب وعقل وعواطف وجوارح ، وقد أثرت الثقافة الإسلامية في الحياة العامة وفي الاتجاه البشرى على مستوى العالم كله .

اليقظة الإسلامية : لقد حققت اليقظة الإسلامية ، في العصر الحديث خطوات إيجابية في مجالات عدة منها :

١ـ المرأة المسلمة وعودتها إلى منهج الله تبارك وتعالى.

٢ـ رفض المسلمين للنظام الاقتصادي الربوى .

٣ـ استكمال نواقص التعليم والثقافة في المدارس والجامعات بما يقوله مفكروا الإسلام.

٤ـ ظهور طاقات جديدة من المسلمين في الغرب. وقد عمد النفوذ الغربي إلى غزوات جديدة منها:

١ـ تغيير الهوية الإسلامية في فلسطين المحتلة والهند وتحويل هوية إفريقيا إلى إحياء الزنجية وإبعاد الأفارقة عن كل ما هو إسلامي وربط مصير شعوبها بدول أوربا .

٢ـ استخدام اللهجات العامية في المسلسلات والإذاعة والتعمق في استخدام العامية في أدوات الاعلام .

٣ـ التهوين من البعد الأخلاقي للمجتمعات الإسلامية وإعلاء ما يسمونه بالنسبية التى تجعل الأخلاق عادات تختلف مع مستوى كل مجتمع .

فقه التاريخ
وأزمة المسلمين الحضارية

لماذا نقرأ التاريخ؟ إننا لا نقرأ التاريخ للمتعة ولا للتسلية ولكننا نتخذ منه ميدانًا للدراسة ونستخلص منه القيم والقوانين التى تحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية التى تصلح لنا في وضع الحاضر والمستقبل ومن هنا يكتسب التاريخ أهميته الإيجابية .

والتاريخ لكي يكون مفيدًا لنا في حياتنا الحاضرة والمستقبلية فلابد وأن نقرأه قراءة إسلامية لا قومية ولا وطنية ولا استشراقية ولا نقرؤه من منظور يهودى أو مسيحى أو غير ذلك، وبذلك نكون متلائمين مع أنفسنا ومع ماضينا ومع مستقبلنا سائرين في الطريق الذي يستقى منه المسلم وينفعل به ويكون سلوكه طبقًا لمفاهيمه هو القرآن الكريم والنبي ﷺ كان خلقه القرآن كما قالت السيدة عائشة رضى ا لله عنها .

نعم قد نأخذ من المدنية ما يفيدنا في حياتنا وفي أداء وظيفتنا في هذه الحياة أما الثقافة والمقصود بها الدين واللغة والعادات والتقاليد فينبغى أن يكون منهلنا الأوحد هو الإسلام .

نعم قد نقرأ الثقافات غير الإسلامية ، ولكن لابد وأن تكون قراءتنا هي قراءة الواعي الفاهم المستعلى بدينه الواثق من قيمه ومبادئه .

وليس المقصود من القراءة مجرد المعرفة أو التذوق والاستمتاع ولا الإحساس بالتفوق ، وإنه المقصود ، أيضًا الفهم والفقه والانفعال بما نقرأ في تاريخنا الإسلامي وأن تكون العاطفة مع أوامر الله تعالى ويأتى بعد ذلك السلوك الحضارى في الحياة ولذلك فإن الصحابة رضوان الله عليهم حين سمعوا قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة:٩١) .

قالوا فور سماعهم هذه الآية : انتهينا ربنا وتخلوا عما عندهم من الخمر كل بأسلوبه.

إن الإنسان في الصدر الأول كان إذا دخل في الإسلام خلع كل ماضيه في الجاهلية وأحس بأنه بدأ عهدًا جديدًا منفصلا كل الانفصال عن حياته الأولى التى عاشها في الجاهلية لقد كان يتلقى هدى الإسلام الجديد ويعمل به في حيوية القرآن الكريم من المسلمين عقب غزوة أحد ، التى أصاب المسلمين فيها القرح، لمخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ أن ينظروا إلى عبر التاريخ ويفقهوها ويعملوا بها حتى ينجحوا في أداء وظيفتهم في هذه الحياة يقول الله تعالى : ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٧) وحين ظن بعض المسلمين أن الإيمان وحده يكفى للانتصار في هذه الحياة وتساءلوا:

كيف يصاب رسول الله ﷺ بالجراح وكذلك بعض الصحابة كانت الإجابة واضحة حاسمة في أن سبب الهزيمة أتى من أفعالكم ومخالفتكم أوامر رسول الله ﷺ وسعيكم لأخذ الغنائم وترككم سنن الله تعالى في الأرض يقول الله تعالى : ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (آل عمران : ١٦٥) .

ثم أن القرآن الكريم وضح سببًا آخر لهزيمة المسلمين وأن هذه الهزيمة ليست كلها شرًا فإن الله سبحانه وتعالى يعلم الذين آمنوا ويتخذ منهم شهداء ، ويمحص الله تعالى الذين آمنوا ويمحق الله الكافرين وذلك في قوله تعالى : ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(١٤٠)وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِين**﴾ (آل عمران: ١٤١:١٤٠) .

فقه التاريخ : لقد نظر الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس في كتابه «فقه التاريخ وأزمة المسلمين الحضارية» إلى أزمة المسلمين الحضارية نظرة دقيقة عميقة فأدرك أن السبب يكمن في أن المسلمين لم يفقهوا التاريخ فقهًا سليمًا ، فقهًا يجعلهم يسيرون في هذا التقدم سيرًا ينقذهم وينقذ معهم في هذه الحياة حتى يمكنهم أن يجتازوا هذه المحنة في أمان وحتى يسيروا في طريق التقدم سيرا ينقذهم وينقذ معهم هذا العالم الحائر الذي يسير في طريق الانهيار فألف هذا الكتاب ليوضح للمسلمين الطريق الصحيح لاجتياز

هذه الأزمة والسير في طريق الحضارة الإسلامية .

يقول الكاتب الفاضل في مقدمة كتابه: الأمة التى لاتحسن الفقه بتاريخها هي أمة فاقدة للحس التاريخي مريضة بحالة غيبوبة عن الذات تائهة عن حقيقتها ودورها ومعالم طريقها إلى المستقبل الذي أعده لها القادر الحكيم ثم يقول ، بعد ذلك في وضوح ينبغي أن يعرفه جميع المسلمين :

(إن فقه التاريخ ضرورة لكل أمة تريد أن يبقى لها دور متميز في التاريخ وبالنسبة للأمة الإسلامية شرط من شروط وجودها) ويبين السبب في ذلك فيقول :

(السبب الذي ينبغى أن يعيه المسلمين جميعًا حتى يسيروا على هدى وبصيرة هو أننا في مستوى العقيدة والعبادة والحياة الاقتصادية والاجتماعية ، موصولون بركن من أركان تاريخنا نطلق عليه اسم : «السيرة النبوية وعصر الراشدين» .

ونحن نعتبر هذا الجزء من تاريخنا، على الأقل، حياة تعيش في وجداننا كما يجرى في عروقنا وهو بعض عقلنا ووجداننا وهو رسالتنا الحضارية.

ونحن لا نستطيع إغفال ما أعطته لنا القرون الأخرى من علوم إسلامية فقهية وقرآنية وعلوم لغوية وآدبية وتجريبية وعلوم الدفاع عن العقيدة بمناهج كلامية ولانستطيع إغفال الفتوحات الإسلامية ولا صفحات الأمويين والعباسيين والمماليك والأيوبيين والعثمانيين ، على الرغم من وجود أخطاء لهم .

وبهذا الفهم الدقيق لفقه التاريخ ولدور المسلمين في العالم يتحدث مؤلفنا الفاضل في كتابه هذا عن الطريق الذي يتحدث فيه المسلمون عن وعي وبصيرة حتى يستطيعوا أن يحملوا رسالتهم في هذه الحياة كما حملها سلفنا الصالح وهو لذلك يقول في إصرار رائع:

«إن الوعي بتاريخنا وحضارتنا الإسلامية هو الطريق لاستئناف الأمة لدورها القيادي» .

أما التبعية : فمن شأنها أن تحولنا إلى شعوب مستهلكة مدينة وأن تحول بين أمتنا وبين أي استقلال أو إبداع وأن تحفظ تخلفنا وتمزقنا على النحو الذي قدمته لنا صورة

العرب والمسلمين في الأحقاب الأخيرة التى ظنوا فيها أنهم تحرروا من الاستعمار ونالوا الاستقلال فوجدوا أنفسهم يعانون من ضياع بما لم يحسوا بثقله على النحو الذي كان عليه وهم تحت قبضة الاستعمار العسكرى والسياسي والاقتصادي والثقافي في القرنين الثالث عشر ومعظم القرن الرابع عشر الهجرى وهذه القضية تعتبر من أخطر القضايا على المسلمين في العصر الحاضر ولذلك فإنه لابد من تفسير التاريخ من وجهة نظرة إسلامية تقود إلى الوعي بالذات وتأصيل هذه الذات بحيث تطرد عنها كل التفسيرات التى تقود إلى عناصر دخيلة مسقطة على تاريخنا وذاتنا من الشرق أو الغرب.

ولابد من النظر إلى المستقبل نظرة متفائله لأن العقل الإسلامي، على الرغم من كل ما يؤخذ عليه، قد تقدم خطوات كثيرة في وعيه بحضارته وفقهه بتاريخه . وبذلك يعرف المسلم أن الحضارة الإسلامية تتميز بانطلاقها من ركائز ثابتة محددة قد يقترب منها المسلمون فيمثلونها، وقد يبتعدون عنها فيصبحون ممثلين لها تمثيلاً نسبيًا .

والمسلمون ، في رحلة حضارتهم ، قد وفقوا في الانطلاق من القرآن الكريم ، مصدرهم الأول، في علوم كثيرة فأطلقوا عليها اسم (علوم القرآن) ولم يكن خطهم البياني مساويًا أو قريبًا من خطط العلوم السابقة فيما يتصل بفقههم لعلوم تفسير الحياة والتاريخ .

ومن هنا فإننا نلاحظ أن هزيمة المسلمين مع الحضارة الأوربية جعلتهم يحسون بأن تحولا كبيرا قد ظهر في التاريخ ، ظهر القلق الذي أصاب الضمير الإسلامي الواعي، على الرغم من وجود دجالين صوروا الأمر على أنه معركة عسكرية وأن الانتصار يكون عن طريق الاستقلال .

ترى ما العوامل التى جعلت الشقة الحضارية تتسع بين المسلمين وبين أعدائهم؟

والجواب على ذلك أنه لايمكن أن تقوم حضارة إلا إذا كان ثمة فقه صحيح للسنن الاجتماعية والكونية ـ كانت هناك رؤية شاملة وغايات عليا ولابد وأن تتوافر شروط للمعارف حتى يمكنها أن تؤدى دورها في الفاعلية والبناء وإعادة الحضارة إلى المسلمين

ومن هذه الشروط:

١- أن تفهم الجماعة الإسلامية نفسها وموقعها من الحضارة وموضعها ومسؤوليتها نحو التاريخ والبشرية .

٢- أن تفقه الجماعة دينها وطبيعته الامتدادية والحضارية.

٣- أن يربط التخصص بالغايات الإسلامية العليا وأن تكون مسؤولية الأمة نحو التاريخ والحضارة الإسلامية مغروسة في وجدان كل باحث وعامل وعالم فقيهًا أو طبيبًا أو مهندسًا أو مزارعًا أو مفسرًا أو محدثًا أو تاجرًا .

٤- إن نزول الحواجز القائمة بين العلوم الدينية والمعاشية فكل ما ينفع هو دين ودنيا.

٥- أن يعود المسلمون إلى الارتباط بالسنن الكونية وفقه قوانين الحضارة وتعميق رؤيتهم للتجارب التاريخية التى سردها القرآن الكريم وللتجربة النموذجية التى أسسها الرسول ﷺ ولتجربة المسلمين الحضارية خلال أربعة عشر قرنًا في التاريخ ولتجارب الأمم من حولهم ويؤمنوا بأنهم لن يستطيعوا القفز فوق السنن الإلهية وإن يقودوا الحضارة إلا بمؤهلات القيادة وفي ظل مناخ ينبغي أن يسعوا لتهيئة وتوفير شروطه .

ومن هذه المنطلقات:

هب فريق من المسلمين المخلصين لإقامة أبنية فكرية ذات مضامين قادرة على تكوين رؤية صحيحة لدى المسلم تجاه الحضارة والتاريخ وما يتصل بهما من قضايا التقدم والتأخر وعوامل النهوض وعوامل السقوط.

وقد بدأ اتجاه جديد يشق طريقه إلى الكتابة التاريخية في مواجهة الأزمة الحضارية التى تعيشها الأمة والتحديات التى تواجهها .

وهذا الاتجاه يؤمن بأهمية دور الأمة الإسلامية ويؤمن بقدرتها على العطاء واستئناف دورها في التاريخ ويثق في أصول هذه الحضارة ويتجاوز مرحلة الانبهار والتلفيق.

وهذا الاتجاه يرى أيضًا أن الحضارة الأوربية ليست الشوط الأخير في رحلة الحضارة بل أنه يرى أن هذه الحضارة فيها أنواع قاتلة من الخلل .

ويلاحظ أن ضعف المسلمين وتفرقهم هما أكبر خدمة يقدمها المسلمون لأعدائهم

وأن كـل صور الغزو الخارجية السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية مرجعها إلى خلل في البناء الداخلي للأمة الإسلامية ، وقد نشأ كل ذلك من الفصام النكد الذي وقع بين حياة المسلمين وبين شريعتهم وأصولها الحضارية .

والتحديث مطلوب لأنه يعنى امتلاك كل الأساليب الصحيحة النافعة لدى الخصم الحضارى والتغريب مرفوض لأنه يعنى الاستسلام للغرب وهو تبعية للغالب.

ترى ما معنى الحضارة؟ إن الكثيرين من الناس يسمعون هذا اللفظ ثم لا يكون له في نفوسهم معنى واضح إن الحضارة ليست هي المنجزات المادية وحدها بل إن الحضارة مركب مكون من العقيدة والفكر والإنسان والتراب والوقت.. وحصاد هذا المركب من نظم ومناهج وماديات هو ثمرة الحضارة ، فالسبب في الإبداع الحضارى هو المركب وأما الحصاد أو المخترعات فهي النتيجة والثمرة المادية ولايجوز أن تقفز إلى النتيجة دون أسبابها ومؤهلاتها .

حتمية التاريخ :

الاتجاه الإسلامي يرى أن ثمة حتمية في التاريخ هي (سنن الله الكونية) لكن هذه الحتمية لاتشل حركة الإنسان الفرد ولا تكبل حركة الأمة إن قررت السير في طريق الحضارة ويرى هذا الاتجاه أن خط الأنبياء والمرسلين هو خط الحق والإسلام في التاريخ كله .

وأن خط الباطل هو خط القوى المحاربة لهم ولا صراع في الحياة إلا بين الحق وبين الباطل . وأما القوى الأخرى فبينها تعاون كامل واستثارة وليس بينها صراع فهو تكامل طبيعي حتى ولو لبس ثوب استثارة وتنافس مشروعين ، نعم ليس هناك صراع بين الغنى والفقير ولا بين الرجل والمرأة ولا بين الإنسان والطبيعة في المفهوم الإسلامي.

ويؤمن النظر الإسلامي بدور القيادة والبطولة والأقلية المبدعة ، ولن تستطيع الجموع أن تسير في طريقها الصحيح إلا بالقيادة الواعية المبدعة والأقلية المبدعة ليست أقلية انعزالية مستعلية ، بل هي من الأمة وللأمة وقد صنعتها الأمة على عينها وبعرقها وعليها مسؤولية تجاهها ومسؤولية أمام الله تعالى الذي سيحاسبها على دورها الذي

هيأها لها ووفر لها وسائلها .

ترى ما موقف العرب من هذا كله ؟ إن العرب هم مادة الإسلام وهم أروع أجناسه وأنقاها إذا حملوا رايته بإخلاص لكنهم أحد الأجناس الإسلامية عندما يخونون هذا الدين ويتنكرون له - فهم إما ملائكة بالإسلام وإما جنس منحط بغير الإسلام ولاطريق لهم في التاريخ إلا من هذا أو ذاك .

وبهذا القول الواضح والتحليل الدقيق يعرف العرب طريقهم وعليهم أن يختاروا وهم الذين سيجنون في النهاية نتيجة اختيارهم .

لقد استطاع الإسلام أن يزيل العرب من الحكم عندما سيطرت عليهم مفاهيم العصبية القبلية بدلا من مفهوم المساواة الإسلامي ، وإن كان الإسلام قد أحدث حركة استعراب ضمته لمختلف المناطق التى وصل إليها حملة الإسلام .

ويلاحظ إن الإسلام لم ينتشر بذاته بل إنه انتشر بسواعد مخلصة وقلوب نقية وعقول ذكية وهمم عالية وبذلك يظهر لنا أن التاريخ الإسلامي صنعه رجال فاعلون.

وقد عانى صانعوا هذا التاريخ مثلما عانى البشر وزلزلوا زلزالا شديدا وصبروا على ما امتحنوا به وكانت العاقبة بعد ذلك كله للمتقين .

حضارة الإسلام : إن حضارة الإسلام حضارة دعوة حملها التجار والعباد والزهاد والعنف ليس وسيلة الإسلام إلا عندما توصد كل الأبواب ولاتشمل كل الناس كما يحدث في الحضارات المختلفة .

ولدور التاريخ الإسلامي منظومة خاصة لا علاقة لها بالمنظومة الغربية ولاتقاس بها تحت أي ظرف من الظروف فبينما كان التاريخ الأوربي يمر بأسوأ فتراته بعد ضياع حضارته اليونانية والرومانية ، كان التاريخ الإسلامي يبدو في أفق الإنسانية وكأنه شمس متألقة يوشك ضوؤها أن يعم العالم كله .

وقد اهتم الكتاب المسلمون بدراسة التاريخ الإسلامي وأسباب هبوط المسلمين وأسباب صعود الغربيين ووضحوا في كتاباتهم كل ذلك ، وبذلك اقتحم العقل المسلم عالم السنن التاريخية والاجتماعية ليكتشف من خلال تعرفه عليها التفسير الصحيح

للأزمـة الحضاريـة التى تمـر بها أمتـه والطريق السـليم لعبور هذه الأزمـة ، وإلى جانب ذلك، تهـاوت في العقل المسلم كـل محاولات الانتقاص من شـخصية الرسول ﷺ ومن خلفائـه الراشدين وأكدت مئـات البحوث الإسلامية وغـير الإسلامية أن محمدًا ﷺ هو الأول في التاريخ كله وأن كل ما ظن أنه شـهاده ضده كان في الحقيقة هو شهادة له ، فحتى تعدد زوجاتـه كان شـهادة لـه من تسع زوجـات مطلعات منـه على كل صغيرة وكبيرة ويسـتحيل تواطؤهن علـى الكذب ، وقد عـاش بعضهن بعـده نحو نصف قرن وحرمن من الرجـال بسببه ، ومع ذلك ظللن يعـترفن بعظمتـه ويؤمن بنبوتـه و لم يتغير رأيهن فيـه قط مـع أن كل العظمـاء كـانوا يفتقـدون عظمتهم في بيوتهم مـع الزوجـة الواحدة إلا محمدًا ﷺ الذي بقى عظيمًا مع تسع زوجات.

وقد ظفـر العصر الراشـدي بتقدير كبـير وتـألقت عظمــة أبى بكر وعمـر وعثمان وعلى، وحتى خلاف الصحابـة فيما بينهم وصل النظر السـليم إلى أنه خلاف في سبيل الحق ، المصيب منهم والمخطى كـان يبحث عنه لإرضاء الله تعـالى ولئن كان الصحابة بشرًا فـإنهم كانوا على أعلى طراز من البشرية الذكية المخلصة ، على الرغم من وجود خلافـات اجتهاديـة فيما بينهـم ، فإن النظـرة إلى الدولـة الأمويـة والعباسـية ، يجب أن تكون منصفة فتسجل الإيجابيات وتسجل السلبيات.

وسـنجد أن الدولـة الأمويـة، مع وجود أخطـاء فيها، فإنهـا كانت دولـة الفتوحات الإسـلامية العظيمة وسـنجد أيضًا أن الدولة العباسـية قد نجحت في اسـتيعاب الانفتاح الحضارى وأبرزت التـألق الفكرى الإسـلامي في وجه التيـارات الزاحفة من الحضارات المنهزمة .

وقد وقفت الدولـة العباسية في وجه حركات شـعوبية والحادية كثيرة وإن كان فيها أخطـاء وقد أنصـف الأيوبيون أبطـال حطـين وأنصف المـماليك أبطـال عين جـالوت ووضعت أصول نظريـة علميـة للتـاريخ العثمـاني وفضلـه على المسـلمين لقيامـه بدوره الفعال في وجه الغـارة الصليبية التى كادت أن تبتلع المغـرب والمشرق بعد قضائها على الاندلس لولا ظهور القوة العثمانية الإسلامية الفتية .

الرؤية الإسلامية :

ومع كل العبث والتضليل الذي وقع في التاريخ الحديث فقد نجحت الرؤية الإسلامية للتاريخ في كشف الحركات المعادية التى تلبس شعارات القومية الشعوبية والإلحادية والماسونية والتقدمية والوطنية وكانت ، ولا زالت عائقًا دون وحدة العرب والمسلمين وتقدمهم .

وقد أبرز المنهج الإسلامي التاريخي الدور الأساسي للإسلام في تحرير الشعوب الإسلامية ولاسيما في الثورات التحريرية الكبرى كثورة الجزائر ووقوف ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي ووقوف الأزهر ضد الحملة الفرنسية وضد مظالم الولاة وثورات أندونيسا ومسلمى الهند ودور الأزهر والزيتونة والقرويين والمعاهد الإسلامية في بعث الوعي الإسلامي بصفة عامة .

مسلمات: والتطور في المنهج التاريخي من جهة النظرة الإسلامي يكاد ينتهى إلى عدد من المسلمات التى تمثل إضافة جديدة وأهمها:

- الارتباط بين العمل التاريخي الوثائقي والعمل التفسيري الداخلي في فقه التاريخ.

- تقويم المصادر على أساس الاستفادة من منهج المحدثين في الجرح والتعديل واعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية (المصدرين الأساسيين) للتاريخ الإسلامي بل والتاريخ العام.

- ضرورة أن يجمع المؤرخ وظائف ثلاث : مؤرخ ومحدث ومفسر) .

- الشمولية في النظر التاريخي بين شتى العوامل المؤثرة في الحركة التاريخية من فكر وانتصار واقتصاد وحياة اجتماعية وعقدية وسياسية وعسكرية ، فليس بالسياسة وحدها تصنع الحياة ، بل إن التاريخ الإسلامي يسجل دورًا واضحًا للعلماء والصناع والزراع والتجار دور هام في صناعة التيار التاريخي .

- ضرورة توافر أدوات البحث التاريخي في المؤرخ المسلم من عدالة وضبط وموضوعية وفقه باللغة والعلوم الإسلامية والجغرافية الإسلامية عبر القرون وعدم الحكم إلا من خلال علم مؤكد .

ـ رصد الغايات العليا الإسلامية وتأثير مبادئ الإسلام في التاريخ العالمي والحضارة الإنسانية .

ـ إبراز تاريخ الأنبياء باعتبارة تاريخ جبهة الحق وهداة القافلة البشرية.

ـ النظر إلى التاريخ الإسلامي كله على أنه تاريخ كل مسلم ورفض النظرة الشعوبية للتاريخ ، فتاريخ الهند وأفغانستان والأندلس والمغرب ومصر والشام والجزيرة العربية واندونيسيا وبقية أقطار العالم وحدة لا تتجزأ.

نعم لقد حقق الاتجاه الإسلامي تطورًا في الرؤية وفي المنهج والتحم بآفاق الماضى وآفاق الحاضر وقدم دراسة نقدية جيدة وأطروحات وفقه لأنها اتكأت على منهجية سليمة ، بل لقد كان الاتجاه الإسلامي أسبق في التنظير الفلسفى للحركة التاريخية على مستوى العالم الإسلامي بيد أن الخطوات في طريق كتابة كاملة للتاريخ الإسلامي .بمنهج إسلامي رصين أخذت تمضى بطيئة وبجهود فردية ، ومازال التاريخ الإسلامي يتعرض لغارات شرسة من أعداء الإسلام وخصوم حضارته، ولم يجد الاتجاه الإسلامي الإمكانات التى تمكن تقديم موسوعات تدحض ذلك العرض السئ المليء بالسموم التى تحفل بها الموسوعات التاريخية الاستشراقية ودوائر المعارف الغربية والتفسيرات الماركسية للتاريخ الإسلامي فضلا عن أن بعض الكتابات التاريخية المخلصة تمتاز بالجمع التقليدي للوقائع وافتقادها إلى عنصر النقد العلمي وباعتمادها على العاطفة والأفكار الشائعة .

وهناك نماذج رائدة وأصيلة في ميدان البحث التاريخي القائم على الشمولية والتفسير واستخدام التاريخ عنصر أصيلا في ذاتنا الحضارية وهذه نماذج للبحث التاريخي في العصر الحديث.

ومن هذه النماذج:

ـ التفسير الإسلامي للتاريخ للدكتور عماد الدين خليل.

ـ العودة إلى الذات للدكتور على شريعتي.

ـ الحضارة تحد للدكتور محمود محمد سفر .

- ودخلت الخيل الأزهر للأستاذ محمد جلال كشك

موقف الفكر الإسلامي المعاصر من الحضارة الحديثة:

الحضارة الحديثة هي الحضارة التى جعلت العالم يبدو كأنه قرية صغيرة بفضل وسائل المواصلات والإعلام الذين بلغا شأنًا بعيدًا لم تحلم به آية حضارة من الحضارات لذلك فإنه لابد من أن يرسم المسلمون الطريق الصحيح للوصول بالحضارة الإسلامية التى تحقق الهدف والرسالة التى كلفهم الله تعالى بها ويمكن أن نلخص ذلك في الآتي:

١- الثقة المطلقة فيما قدمه القرآن الكريم من صياغة الحياة وفيما قدمه القرآن الكريم من حياة الرسول ﷺ لنا من نماذج قرآنية مثالية .

وعلى الفكر الإسلامي أن يبنى المؤسسات الإسلامية الأصيلة والمتطورة في وسائل المجالات التربوية والاقتصادية والاجتماعية والاعلامية والنفسية وغيرها.

٢- ولابد من الدخول في ميدان السباق التقنى والمادى ونقطة البداية في هذا المجال تكون في الإقلال من الاستيراد وتشجيع الاختراعات والابتكارات والصناعات الإسلامية كما فعلت اليابان .

وعلينا أن نملك الوسائل الفنية المعاصرة وأن نحتفظ بمقومات التصور الإسلامي السليم ويجب أن نطبق هذا في الفن بكل صورة وأن نطبقه في النظريات الإعلامية والتربوية والاجتماعية ووسائل الترويح الفنية المختلفة وفي المجالات الاقتصادية أيضًا .

٣- بناء الإنسان المسلم الصالح وتكوينه تكوينًا عقديًا سليمًا وزرع الانتماء لدينه ولأمته . إلى جانب الالتزام بمنهج الإسلام في احترام الفطرة الإنسانية وتيسير كل السبل لتصريف الطاقات الإنسانية في المصارف التى حللها الخالق سبحانه وتعالى.

٤- تحرير الأمة الإسلامية من قيم الجمود والجزئية والعقم وضيق الأفق التى ورثتها الأمة من بعض عصور الانحطاط وحماية الأمة الإسلامية من القيم الوافدة ومن المستغربين الذين سقطوا تحت تأثير الإشعاعات الأوربية وانبهروا بها .

ونلاحظ أن العصور الماضية كان للجامع الدور الأول في تربية الإنسان المسلم الصالح الذي استطاع أن يقيم الحضارة الإسلامية الرائعة وفي العصر الحاضر علينا أن

نجعل للمدرسة وللجامعة ولوسائل الإعلام الدور الواضح في تربية الإنسان المسلم الصالح الذي يستطيع أن يقوم بدوره الكامل في عمارة الأرض طبقًا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى .

ولابد من أسلمة المعرفة إلى جانب أن نجعل عند الإنسان المسلم الحصانة من الغزو الثقافي الخارجي بكل صوره .

وفقه التاريخ ضرورة لكل أمة تريد أن يبقى لها دور متميز فالتاريخ بالنسبة للأمة الإسلامية شرط من شروط وجودها فنحن موصولون بركن من أركان تاريخنا نطلق عليه اسم السيرة النبوية وعصر الراشدين ولا نغفل الفتوحات الإسلامية عبر القرون أو إغفال ما أعطته لنا القرون الماضية من علوم إسلامية فقهية وقرآنية علوم لغوية وأدبية وتجريبية وبذلك نحقق الوظيفة التى اختارنا لها الخالق سبحانه وتعالى كما جاء في الآية الكريمة :

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة :١٤٣) .

ويتحدث الأستاذ محمد قطب في كتابه (كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟) فيقول: [لابد من إعادة كتابة التاريخ الإسلامي لأننا إذا نظرنا إلى معظم المراجع الحديثة المتأثرة بالمنهج الاستشراقي فإننا نجدها مكتوبة في صورة جذابة مغرية بالقراءة ولكن عيبها في الناحية المنهجية لأن أغلبها بعيد عن الأمانة العلمية لأنها كتبت لتحقيق أهداف معينة تكتبه قلوب لا تحب الخير للإسلام وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبًا أهل الكتاب: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:٧١)] .

ويقول مخاطبًا المسلمين في شأن الركون إلى أهل الكتاب والاستماع اليهم والأخذ عنهم:

[﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ

إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران :١١٨)

فالبضاعة التى يتداولها أهل الكتاب ويظلون يبدون فيها ما هي إلا البضاعة التى تداولها أسلافهم الذين كلفتهم الكنيسة بالكتابة ضد الإسلام في العصور الوسطى وشجعتهم عليها لتشويه صورة الإسلام في نفوس الأوربيين وتنفيرهم منه، وهم في سبيل ذلك لايتورعون عن الكذب على رسول الله ﷺ وأصحابه] كما قال (فلهوزن) في كتابه (الدول العربية): [إن رسول الله عاهد اليهود وهو ضعيف في أول عهده بالمدينة فلما تقوى نقض معهم عهده وحاربهم وأجلاهم عن المدينة وكما قال عن أبى بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما: إنهما اغتصب الخلافة من المسلمين] والغربيون يركزون على التاريخ السياسى للمسلمين على حساب بقية المجالات الإسلامية العقيدية والفكرية والعلمية والاجتماعية والثقافية .

شروط المؤرخ المسلم: إن التاريخ الإسلامي يدرس للعبرة وتربية الأجيال.

والتاريخ يظهر أن هذه الأمة لايمكن لها في الأرض إلا وهي مستمسكة بدينها عاملة بمقتضيات التكليف الرباني لها وإنها كلما حادت عن الطريق السليم أصابتها العقوبة الربانية فزال عنها التمكين في الأرض وأصابتها النكبات وإنها لا تخرج من نكباتها إلا بالعودة الصادقة إلى الله سبحانه وتعالى وأنها حين تعود لا تكون ممكنة في داخل حدودها فحسب بل تكون في مقام التوجيه والشهادة على كل البشرية وا لله سبحانه وتعالى يقول : **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** (الرعد :١١) .

والغربيون يحصرون تاريخ الأنبياء في ركن ضيق من التاريخ القديم ويعرضون وكأنه أحداث محلية هامشية في مجرى التاريخ ثم تبرز تاريخ النصرانية في أوربا وتاريخ الكنيسة وتعرضه عرضًا منفصلاً ولكن تعرضه على أنه العصور الوسطى المظلمة وعلى أنه فترة من الزمن قد مضت بخيرها وشرها ، ثم تعرض تاريخ الإسلام على أنه قوة مناوئه لأوربا نبت في الشرق ووقع بينها وبين أوربا صراعًا مريرة وانتهت بغلبة أوربا في العصر الأخير .

والموجع : في التاريخ الإسلامي ينبغي أن يكون أساسه القرآن الكريم والسنة

النبوية وكتب السيرة ، فالقرآن الكريم يبين عبرة الحدث ونتائجه وحكمة الله تعالى في سننه في الكون وهو الذي يعطى الدرس التربوى المقصود .

مجتمع المدينة النموذج: إن مجتمع المدينة هو الصورة المثالية للمجتمع المسلم وهو كذلك التطبيق المثالي للإسلام ، ولذلك فإنه ينبغى أن ندرك ذلك المجتمع من خلال مبادئ الإسلام وندرس الإسلام من خلال التطبيق الواقعي في ذلك المجتمع فهما صورتان متطابقتان .

إن مجتمع المدينة هو مجتمع بشرى فيه كل خصائص البشر وفيه أيضا ضعف البشر وأخطاؤهم فكل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

وعلى المسلمين أن يحاولوا الصعود إلى قمة البشرية وسيصعدون حين يتجهون إلى الله سبحانه وتعالى وسينالون على ذلك النصر والتمكين وقد وعد الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنه سيستخلفهم في الأرض وسيمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم على شرط أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا وأن ينفذوا شريعته تنفيذاً كاملاً.

حركات بشرية محاربة للإسلام :

وعلى مدى تاريخ الإسلام وجدت جماعات متنوعة ولكن هدفها كان هدم الإسلام ومن هذه الحركات:

حركة القرامطة : وهي جماعة الحادية تؤمن بالإباحية المطلقة وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية وقد انتشرت في الكوفة في عام ٣٧٨هـ .

حركة اليزيدية : وهي حركة باطنية تقوم على الألغاز والأسرار وعبادة الشيطان وهي فرقة ضالة نشأت في عام ١٣٢هـ عقب انهيار الدولة الأموية وقد وصلوا إلى تقديس زيد بن معاوية .

حركة الباطنية الإمامية : وقد تمسكوا بحق على في الخلافة دون أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

حركة الحشاشين: وهي طائفة إسماعيلية أسسها الحسن بن الصباح وقد تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال لأهداف سياسية .

حركة الدروز: وهي فرقة باطنية تقول بتأليه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ومعاداة كل الأديان وهم ، دائمًا يعملون في حركة سرية وهم يحقدون على الإسلام ويكيدون للمسلمين . ومحور هذه العقيدة الحاكم بأمر الله وقد كان شاذًا في فكره وفي سلوكه.

حركة النصيرية والعلوية: وقد ظهرت هذه الحركة في القرن الثالث للهجرة وقد زعموا بوجود جزء إلهي في علي بن أبي طالب ولذلك آلهوه، ومقصدهم هدم الإسلام وقد أطلق عليهم الفرنسيون اسم (العلويون) تغطية لحقيقتهم الرافضة للإسلام، وقد أنشأ هذا المذهب أبو شعيب النصيري سنة ٢٧٠هـ وادعى النبوة والرسالة ونسب أئمة الشيعة إلى الألوهية وألّه علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهم يبيحون المحارم واللواط والخمر .

حركة القاديانية: وهي حركة هدامة نشأت في عام ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزى في الهند لإبعاد المسلمين عن دينهم ومؤسس الحركة ميرزا غلام سنة ١٩٠٨م.

حركة البابية والبهائية: وهي حركة ضالة نشأت سنة ١٨٤٤ تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمون ومؤسسها مرزا على الشبرواى سنة ١٨٤٩م.

القومية العربية الإسلامية : دعوة هدامة ضالة ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر بوحي من الاستعمار ، وقد مهد لها اليهود والمستعمرون بهدف القضاء على الإسلام في داره، وقوامها : العرب أمة والهدف الأول إبعاد الدين عن الأمة العربية ومؤسسوا الحركة نصارى مثل: بطرس البستاني وناصيف يازجي .

الحزب الجمهوري: حزب سوداني يهدف مؤسسه محمود محمد طه إلى قيام حكومة فيدرالية ديمقراطية اشتراكية تحكم بالشريعة الإنسانية ، وقد ولد الحزب في أيام سيطرة الإنجليز على السودان ومبادئ الحزب خليط من النصرانية والشيوعية والبهائية والقاديانية فهو تركيزة من المذاهب.

حزب البعث الاشـتراكي: حزب يدعو إلى الانقـلاب الشـامل في المفـاهيم والقيم الإسـلامية شـعارها المعلـن : أمـة عربيـة واحدة ذات رسـالة خـالدة وأهدافها: الوحدة والحرية وفق الأصول العلمانية والقومية المعادية للإسلام ومن أبرز مؤسسى هذا الحزب مشيل عفلق وصلاح البيطار .

الحزب القومي السورى:

يدعو هـذا الحزب إلى القوميـة السـورية واعتبارهـا مسـتقلة عن القوميـة العربيـة ومؤسس الحزب أنطون سعادة وهو يمجد الفينيقية الوثنية ويصور الفتح الإسلامي على أنه احتلال عربي .

وأخيرًا :

على الرغم من كل الجهود التى يعمل لها الكفـار والمنافقون وأهل الكتاب فإننا نجد بعض العلماء من غير المسلمين من ينصف الإسلام ورسول الإسلام .

بـل إن بعضهم يدخل في الإسـلام ويصبح مـن الدعـاة إليـه لأنهـم يرون أن إنقـاذ البشرية لا يكون إلا بالإسلام وهذا ملخص لكتاب أنصف الإسلام والمسلمين ورسول الإسلام حيث اختـير ليكون الأول في قائمة أهم رجـال التاريخ فهو الوحيد الذي نجح أعظم نجاح على المستوى الديني والدنيوى.

وبذلك استحق هذا اللقب .

رسول الله وأثره في البشرية

لم يكن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أول رسول ـ كما أنه لم يكن أول مصلح في ميدان الحياة، ولكنه كان أعمق هؤلاء جميعًا في التأثير في حياة البشر.

فهو صلوات الله وسلامه عليه -إلى أن يرث ا لله الأرض ومن عليها- صاحب رسالة كاملة، شاملة متوازنة ، تصل المسلم بالله تعالى ، وتجعله يشعر بأن له رسالة في هذه الحياة حتى يكون يقظ الضمير، عالى الهمة، كريمًا على نفسه، وعلى مجتمعه، يؤدى حق الله، وحق نفسه، وحق مجتمعه، كما يؤدى حق جسمه، وحق روحه والقدوة الكاملة الحية في نفس كل مسلم هو رسول الإسلام .

ومن هنا فقد استطاع أن يربى وأن يؤثر، وأن ينشر في ربوع العالم الأمن والسلام والاطمئنان والمبادئ والقيم التى لم تستطع أية فلسفة في قديم البشرية وحديثها أن تحققها ، ولعل هذا هو الذي جعل الدكتور مايكل هارت صاحب كتاب المائة الأوائل، يختار الرسول الكريم أول واحد منهم .

دين ودولة

وقد برز هذا الاختيار بقوله: «إن اختياري محمدًا ليكون الأول في قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني، والدنيوى ، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبق إليها سواهم كموسى في اليهودية ، ولكن محمدًا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة، وتحددت بذلك كل أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوى أيضًا وحد القبائل في شعوب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها موضع الانطلاق إلى العالم أيضا في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية

وأتمها.

ثم يقول مبررًا آخر في اختياره نبي الإسلام ليكون أول المائة: (إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم، في بيئة متمدنة تبرز ظهور العظماء فيها، ولكن محمدًا هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تمامًا من كل مقومات الحياة والحضارة والتقدم، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة، بما لايقاس ، وفي تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ، ولكنه في حالة الرسالة المحمدية فإن معظم البلاد التى فتحها خلفاؤها استعربت تمامًا، وتغيرت لغة ودينا وقومية، من العراق وسوريا إلى آخر الشاطئ الأفريقي غربًا إلى السودان جنوبًا وأصبحت أمة واحدة تتكلم لسانًا واحدًا إلى الآن، فهناك اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة خمسمائة مليون مسلم ولكن بينهم حوالى مائة وخمسين مليون عربي، وهو معيار في قياس أثر الرسالة أي استمرارها الزمنى وثباتها ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم .

كذلك لايوجد نص في تاريخ الرسالات نقل وبقى بحروفه كاملاً دون تحريف كل هذا الزمن سوى القرآن الذي نقله محمد، الأمر الذي لاينطبق على الإنجيل مثلا أو التوارة .. وهكذا نجد أن فتوحات العرب التى بدأت في القرن السابع الميلادي قد بقيت تلعب دورًا هامًا في تاريخ الإنسان حتى يومنا هذا .

ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوى، فأننى وجدت أن محمدًا هو صاحب أعظم تأثير على الاطلاق في التاريخ الإنساني .

مقارنة:

بحث الغربيون في تاريخ رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفي رسالته، وحاولوا أن يقارنوه بالغزاة والفاتحين ، فلم يجدوا له شبيها: لا في العصور القديمة ، ولا في العصور الحديثة ما أشد غرامهم بالمقارنات، وما أشد اهتمامهم بالبحث في أوجه القصور بالنسبة لنبي الإسلام ﷺ .

ومن هـذه المقارنـات التـى قـاموا بهـا: مقـارنتهـم النبي ﷺ بالاسـكندر الأكـبر في فتوحاته وسـرعتها وسعتها ، فوجدوا أن فتوحات الاسـكندر الأكبر كـانت عسكرية فقط، فهي لم تغير شيئا من حياة الشعوب، ولا من عاداتها، ولا من أخلاقها ، ولا من نظمها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولا في نظرة الشعوب إلى الاسكندر الأكبر على أنه غـاز وفاتح، فهو لم يحمل رسالة تفيد أي شعب من هـذه الشعوب، بينما نبي الإسلام ﷺ حمل رسالة خالدة كاملة إلى جميع الشعوب وإلى جانب هذا، فإن المدن قد دمرت تدريجيًا في ظل حكم الامبراطوريـة الرومانيـة، بينما عمرت المدن في ظل الحكم الإسلامي .

وفرق ثـالث هو أنـه يعد عشـرين عامًـا من وفاة الاسـكندر تمزقـت امبراطوريته بلا عوده إلى ثلاث ممالك عام ٣٠١ قبل الميلاد، ولم يحدث هذا بالنسبة للإسلام .

وإلى جانب هذا فإن الاسـكندر الأكبر لم ينقل معـه الفكر اليوناني، وإنما تبنى دون قيد ولا شــرط الأفكار التـى كانت سـائدة في البلاد المغلوبـة في ذلك الوقت، واعتنق عقائدها وأخيرًا فإن المستعمرين الاغريق خضعوا لفاتحين آخرين ..

ولكن الإسـلام غـير كل شـئ: سياسـيًا ، واقتصاديـا ، واجتماعيًـا في البلاد التى فتحهـا، وقد تغلغل في الأعماق بالنسبة لهذه الشعوب جميعها، فكان التغيـير شاملاً في اللغة والعـادات والتقاليد والأفكار والأخلاق والتشريع، وتغير تصور هذه الشعوب عن العالم، وعن الله تعالى، وعن المفاهيم التى أصبحت سـائدة ، وذلك التغير كان سريعًا، وأحسـت هذه الشعوب إحساسـات جديدة نحو نفسـها، ونحو الإنسـانية ، والأفكار الإسـلامية كانت دائمًا تنتشـر، وتكسب الاتباع كلمـا اتيحت لها الفرصة، لكي تظهر في بساطتها ونقائها .

ومعنى ذلـك أن الإسـلام لـه قوة ذاتيـة وتوافق فريد من الطبيعـة البشـرية وحقائق الكون .

المفكرون الغربيون

والمفكرون الغربيون درسوا سيرة محمد صلوات الله وسلامه عليه، وتكلم كل منهم عن الجانب الذي أثاره.

فيرونر في مقدمة كتاب : «القرآن» تأليف ديساير، لاحظ أن البناء الأخلاقي والديني لايزال منصوبًا على قوائمه، وثابتًا في صلابته حتى قيل إنه لم يحدث منذ بداية الهجرة أن مسلما قد تحول عن الإسلام إلى دين آخر.

لقد انتشر الإسلام بين شعوب مختلفة في الجنس واللغة والدين والمناخ من الصين إلى مراكش، فصاغ هذه الشعوب جميعها في بوتقة الإسلام، وأصبح لها بناء اجتماعي واقتصادي وثقافي وتاريخي واحد، ومع ما تعرض له هذا البناء على مدى التاريخ من عناصر التدمير الداخلية والخارجية إلا أنه لازال فيه من الحيوية ما يمكنه من أن يؤدى رسالته في العالم المعاصر .

وكانت سرعة الفتح ملفتة لنظر الجميع، والأثار الإسلامية العقدية والاجتماعية والثقافية واللغوية قد تركت بصماتها في كل مجتمع من المجتمعات التى عاشت فيها، بل أكثر من ذلك فقد لاحظ «المقدسي» ملاحظة دقيقة، ذكرها في كتابه «أحسن التقاسيم» ، فقال: إن الفرس في القرن الرابع الهجري، كانوا أشد غيرة على اللغة العربية من العرب أنفسهم، فهم ليسوا حريصين على الإسلام فقط، بل وعلى اللغة التى نزل بها القرآن ، وبلغ حرصهم درجة عظيمة حتى أصبحوا أكثر حرصًا من العرب أنفسهم أصحاب اللغة .

وما أكثر الشعوب التى رفضت أن تذوب في الفاتحين ، ولكن حين جاءها الإسلام كانوا خير المنفذين لتعاليمه .

وهناك ملاحظة أخرى، لاحظها بعض المنصفين من الغربيين، تلك هي أن كل عاصمة من عواصم الدنيا تعيش لنفسها، ولاتأبه بالآخرين ، ومن هنا فقد شقيت أمم من أجل الأمة المتسلطة والعاصمة المتسلطة، وما أكثر ما حطمت لندن وباريس من عواصم، لتنعم هي، والسبب يظهر في الحياة المادية التى تحياها هي .

ولكن عاصمة الإسلام أو عواصم الإسلام لاتقوم بهذا العمل، لأن لها رسالة تؤديها لجميع البلاد، وجميع الأمم، وجميع الناس ، وهي: أن يعبد الإنسان ا لله الذي كرمه وخلقه في أحسن تقويم .

لقد كانت العاصمة الثقافية الإسلامية متنقلة، ويعتبر ذلك مظهرًا من مظاهر شباب الحضارة الإسلامية، وذلك دليل على الأخوة الإسلامية، ولذلك فهي أطول الحضارات التى عرفتها البشرية عمرًا، فالحضارة الإسلامية على غرار الإنسان، لها قلب تتصل به، وهي الأماكن المقدسة .

و «دير منانجم» يعجبه في الإسلام إبعاد أفراد المجتمع عن فوضى المعاشرة الجنسية وما استطاع أن ينشره الرسول الكريم ﷺ من الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع، فيقول: «إن دعوة محمد قد أوجدت في الجزيرة العربية تقدمًا غير قابل للاعتراض ، سواء أكان ذلك في نطاق الأسرة. أو الجماعة ، فإن قيمة المرأة في المجتمع قد علت برسالة محمد ، وحظها من الحياة قد تحسن. ويرى أن الفحش والمعاشرة الحرة بين المرأة والرجل قد حرمها دين محمد ، وقد حرم أيضًا إكراه الإماء على اتخاذ الفحش وسيلة لإثراء مواليهم كما كان متبعًا من قبل .

ثم يقول «إن أفضل البراهين على عظمة محمد ورسالته هي تلك العقول مطمئنة والقلوب العامرة بالسكينة والارادة القوية التى عالجت الإنسان في الأمراض الأخلاقية».

و« ول ديورانت» ، صاحب قصة الحضارة، كتب مجلدًا كاملاً عن الحضارة الإسلامية، وقد نظر إلى أثر النبي عليه الصلاة والسلام في المجتمعات التى آمنت به ، وفي تواضعه الذي لم تعرف له البشرية مثيلا. فيقول: «إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس فإننا نقول إن محمدًا كان أعظم عظماء التاريخ، فقد رفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في ظلمات الهمجية حرارة وجدب الصحراء، وقد نجح محمد برسالته في ذلك نجاحًا عظيمًا، لم يدانه أحد على مدى التاريخ، لقد كبح محمد جماح التعصب، وقضى على الخرافات، وأقام فوق الديانات القديمة لبلاده دينًا ساميًا سهلاً واضحًا بنى به صرحًا خلقيًا عاليًا، واستطاع في جيل

واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن ينشئ دولة عظمى، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات أثر عظيم، لم يتظاهر محمد قط بأبهة السلطان ، بل كان يرفض أن يواجه إليه شئ من التعظيم والتبجيل، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب من عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من القوة والوقت ما يمكنه من عمله، لم يكن ينفق على أسرته إلا أقل القليل من المال، رغم ما كان يرد إليه من الفئ الكثير . أما ما كان ينفقه على نفسه فكان أقل من ذلك القليل، وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر من هذا المال .

رحمة وإخاء ومساواة

و« توماس كارليل» يعجبه في محمد عليه الصلاة والسلام: الصدق، والتواضع، كما كان يعجبه في الإسلام: المساواة، وفرض الزكاة ، وغير ذلك من الأشياء التى ساعدت على انتشار الإسلام يقول في كتابه «الأبطال» عن محمد البطل الرسول: إنى أحب محمدًا ، لبراءة طبعه من الرياء والتصنع، ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأى، ولا يدعى ماليس فيه، لم يكن متكبرًا ولكنه كان يخاطب بقوله الحر الصادق قياصرة الروم، وأكاسرة العجم .

وفي الإسلام خلة أراها أشرف الخلال وأجلها وهي: المساواة بين الناس، والناس في الإسلام سواء، والإسلام لايكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة، بل يجعلها فرضًا محتمًا على كل مسلم ، وقاعدة من قواعد الدين، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الفرد، فتكون جزءًا معينًا من الثروة فتعطى للفقراء ، والمساكين، وأبناء السبيل ، وما هو إلا صوت الانسانية السمحة الصافية المتراحمة المتعاطفة ، صوت الرحمة والاخاء والمساواة، ثم يقول : (لقد أخرج الله العرب من الظلمات إلى النور، وأحيا بالإسلام من العرب أمة خاملة، وأرضا هامدة، وهل كانوا إلا فئة من الأعراب خاملة متعثرة تجوب الفلاة، لايسمع لها صوت، ولايحس لها حركة، فأرسل الله لها نبيًا هو محمد، فإذا الخمول قد استحال نشاطًا، والضعة تتحول إلى رفعة، والضعف يتحول إلى قوة، والشرارة تتحول إلى حضارة وما هو إلا قرن من الزمان يمر على هذا الحدث الفذ حتى أصبح لدولة العرب موقع القدم الراسخ في العالم. من الهند إلى الأندلس، فأشرقت دولة الإسلام

حقبًا عديدة، بنور الفضل والنبل والمروءة والبأس والنجدة، وسيطر الحق والهدى على نصف المعمورة، وكان الإيمان العظيم مبعث الحياة ومنبع القوة .

فيلم الرسالة

وفيلم الرسالة يحكي رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليه ـ ومع أن علماء المسلمين لم يوافقوا على عرضه لأشياء لاحظوها إلا أنهم في الغرب استقبلوه استقبالا هائلا، وقد استمر عرضه مدة ما يقرب من عامين متوالين، في معظم دور الخيالة الأوربية .

وإن الإنسان ليأخذه العجب حين يرى صفوف الأوربيين متراصة للحصول على تذاكر لمشاهدة الفيلم. وهي يخرجون بعد مشاهدته. ليبدوا إعجابهم الرائع بهذه اللقطات من التاريخ الإسلامي، والتى تضع أيديهم كما يقولون على مفاهيم عظيمة لم يتمكنوا من معرفتها اللهم إلا من كان منهم متخصصًا في هذه الدراسات عن الإسلام، ونبيه العظيم، ورجالاته الخالدين، لاتزال حبيسة اللغة العربية، ويقول الغربيون : «إن هذا عيب في المسلمين الكاتبين باللغات الأجنبية المقروءة ، وقصور دور النشر العربية عن الاسهام في ترجمة هذه الثقافة الخالصة، وبعثها إلى العالم باللغات التى يقرأها ويفهمها».

وقد لاحظ بعض المفكرين الغربيين أن النبي صلوات الله وسلامه عليه لايميل إلى العنف، ولا يحب المعارك، ولا يتخذ الاجراءات الحربية العنيفة، لأن كل هذه الأشياء ليست من طبعه، ولكنه لكنه يحب للناس أن يدخلوا في دين الله ، وأن يهتدوا بهداه، ولذلك فقد كان القرآن الكريم يلوم النبي صلوات ا لله وسلامه عليه في ذلك، كان يلومه على حرصه الشديد في إسلام الناس مع أنهم لايريدون أن يتبعوا طريق الهدى ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الكهف:٦) كما لامه على أنه رضى بالفدية في غزوة بدر، ذلك لأن الإمام يتصرف في الأسير تبعًا للمصلحة العامة ، وفي بداية الإسلام كان المفروض ألا يبقوا الأسرى ولايحملوهم معهم حتى لايعودوا فيكونوا حربًا عليهم، لذلك كان المفروض أن يكثر القتل في الكفار، وفي ذلك إعزاز لشوكة المسلمين، وإضعاف للمشركين وكسر

لشوكتهم ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٦٧)لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال : ٦٧: ٦٨) .

ولقد لقى النبي صلوات الله وسلامه عليه من أهل مكة مالقى، ومع ذلك فإنه عندما فتح مكة وانتصر عليهم النصر الحاسم، وعلت كلمة ا لله في جنباتها، نهض رسول الله إلى البيت العتيق، وأخذ يحطم الأصنام، وهو يقول (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا) حتى إذا طهر المسجد من الأوثان، وأقبل على قريش وهم صفوف يرقبون قضاءه فيهم، أمسك بعضاذني باب الكعبة وهم تحته .

فقال: لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم قال: « يامعشر قريش ماترون أنى فاعل بكم؟» قالوا له خيرًا : أخ كريم وابن أخ كريم قال: « فإني أقول لكم ما قاله يوسف لأخوته «لاتثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء» .

بل أكثر من هذا فقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمسجد الحرام، يجهز على الوثنية ، واقترب منه «فضالة بن عمير» يريد أن يجد فرصة ليقتله، فنظر إليه النبي ﷺ نظرة عرف فيها طويته، فاستدعاه وسأله: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ فقال فضالة: لاشئ كنت أذكر الله، فتبسم النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم قال: استغفر ا لله. وتلطف معه الرسول ﷺ، ووضع يده على صدره ، ودعا له، فانصرف الرجل وهو يقول: ما رفع يده عن صدرى حتى ما من شئ أحب إلى منه.

ولو أن قائدًا في عصرنا الحديث حصل له هذا لأباد العشرات بل والمئات، ولكنه محمد رسول الله ﷺ .

ومواقف المنافقين واليهود مع رسول ا لله ﷺ مشهورة ومعروفة، فقد كانوا يتآمرون على الفتك به ، بل حاولوا ذلك مرات عديدة، ومع ذلك كان يستغفر للمنافقين راجيًا لهم الرحمة من الله تعالى فنزلت الآية الكريمة **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا با لله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين﴾** (التوبة:٨٠) ومع ذلك فإن النبي عليه الصلاة

والسلام قال: أزيد على السبعين فنزلت الآية الكريمة ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (المنافقون: ٦) وهذا هو الذي جعل «دير مانجايم» يعجب بإنسانية النبي الرائعة ، في معاملة أعدائه في الحرب، وفي عدم التعرض لغير المحاربين، وفي عدم تجريد السلاح إلا عند الضرورة القصوى، فيقول:« إن محمدًا قد أبدى في حياته اعتدالا يلفت النظر، فقد برهن في انتصاره النهائي على عظمة نفسية، قل أن نجد لها في التاريخ مثيلا، فهو يأمر جنوده بألا يتعرضوا للضعفاء والمسنين والأطفال والنساء، وحظر عليهم هدم البيوت وسلب الناس، وأمرهم ألا يجردوا سيوفهم إلا عند الضرورة القصوى» .

تأثير الإسلام في الأديان الأخرى

يقول الأستاذ أحمد أمين: ظهر بين النصاري، نزعات يظهر فيها أثر الإسلام، من ذلك أنه في القرن الثامن الميلادى ظهر في سبتمانيا بفرنسا حركة تدعو إلى إنكار الاعتراف أمام القس، وأنه ليس للقس حق في ذلك، وأن يضرع الإنسان إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثم، والاسلام ليس له قسيسون ورهبان وأحبار، فطبيعي ألا يكون فيه اعتراف» .

ويقول صاحب كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» : «وكذلك كانت هناك حركة تدعو إلى تحطيم الصور والتماثيل، فقد أصدر الامبراطور الروماني لويس الثالث أمرًا سنة ٧٣٠م ، يعد الاتيان بهذا وثنية، وكذلك كان قسطنطين الخامس ولويس الرابع، على حين كان البابا جريجورى الثاني والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية من مؤيدى عبادة الصور ويقولون: إن كلمديوس أسقف نورين الذي عين سنة ٨٢٨م ، والذي كان يحرق الصور والصلبان وينهى عن عبادتها في أسقفيته، ولد وربى في الأندلس الإسلامية، وكذلك وجدت طائفة من النصارى. شرحت عقيدة التثليث بما يقرب من الوحدانية، وأنكرت ألوهية المسيح عليه السلام .

إن قادة الدين في هذا العصر قد دعوا إلى عبادة الله ، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات التى ظهرت في الهند وفي البلد الإسلامي كديانة ودعوة كبيرة .

ويقول الباحث الهندى المشهور «بانكر» سفير الهند في مصر سابقًا، وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية في عقلية الشعب الهندى وديانته: إن دخول الغزاة الذين جاؤوا من شمال غرب الهند، ودخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، وأنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندى، إنه قد أظهر انقسام الطبقات وعدم لمس المنبوذ، وحب الاعتزال من العالم الذي كانت تعيش فيه الهند.

إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة بين الناس التى كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها أثرت في أذهان الهندوس تأثيرًا عميقًا، وكان أكثر خضوعًا لهذا التأثير البائسين الذين حرم عليهم المجتمع الهندى المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية.

تأثير الحضارة الإسلامية

ويقول الكاتب الهندي «ميهاتًا» في كتابه «الحضارة الهندية والإسلام»: إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نور، انجلت به الظلمات التى كانت تغشى الحياة الانسانية في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدنى، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الاقتصاد والأفكار أوسع وأعظم شأنا منها في حقل السياسة شأنه في الأقطار الأخرى، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام في هذا القطر الهندى مرتبطًا بالحكومة، فبقيت حقيقة الإسلام في حجاب، وبقيت هباته وأياديه مختفية عن الأنظار .

ويقول بريفوليت في كتابه «صناع البشرية»: «ما من ناحية من نواحي تقدم أوربا إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير، وآثار حاسمة لها تأثير كبير، ويقول في موضع آخر: لم تكن العلوم الطبيعية التى يرجع فيها الفضل إلى العرب، هي التى أعادت إلى أوربا الحياة، ولكن الحضارة الإسلامية قد أثرت في حياة أوربا تأثيرات كبيرة ومتنوعة، منذ أرسلت اشعتها الأولى إلى أوربا .

إن الإنسان حين ينظر إلى المجتمعات المعاصرة، ويجد الصراعات المختلفة التى تدور فيها والجهود التى تبذل، والأموال التى تنفق، والأرواح التىتزهق، يعجب أشد العجب لأن ذلك لن يعود بالخير على أحد، وليس له هدف إلا الكسب المادى، وما أشقى البشرية حين يتولى أمرها من لايهتم بالمحافظة على أمنها ولا على صحتها

الجسمية والنفسية. وقد لفت نظر برنارد شو أسلوب حل المشكلات الذي يتميز به رسول الإسلام ﷺ فلم يملك نفسه أن قال .. وهو غير المسلم: (لو أن محمدًا رسول الإسلام وجد وسط هذا العالم المليئ بالمشكلات لاستطاع أن يحل مشكلاته ..

ترى هل جاء الوقت - ونحن في القرن الخامس عشر الهجرى - أن ينظر الغربيون إلى الإسلام نظرة منصفة فيعملون على دراسته - ويسيرون على نهجه حتى يخلصوا هذا العالم الحائر من حيرته. ويعيشوا في أمن وسلام واطمئنان في هذه الحياة .

وأخيرًا

فإننا نجد أن التاريخ الإسلامي قد نشأ نشوءًا طبعيًا استجابة لحاجة المجتمع الإسلامي وقد كشف التاريخ الإسلامي عن خصائص الأمم الإسلامية وقد كتب المؤرخون المسلمون التاريخ تسجيلاً لواقع المجتمع الإسلامي وفي القرآن الكريم إشارات إلى الأمم الخالية ولذلك حرص المسلمون على فهم الإشارات وتوضيح مدلولها وكان الإسلام قد أظل الكثيرين من اليهود والنصارى واستعان بهم المسلمون على توضيح هذه الإشارات فضم بعض المسلمين هذه الأخبار إلى التاريخ وقد اشتهرت باسم الإسرائيليات) وكان في طليعة من هم أثر بارز في ذلك كعب الأحيار المتوفى سنة ٢٤هـ وهب بن منية سنة ١١٠هـ .

وفي العصر الحديث كتب المؤرخون الاشتراكيون الذين يرون أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية هي المسؤولة عن حركة التاريخ الإسلامي لا السياسة ولا الدين ومعنى ذلك أنه لا يوجد تأثير للعوامل الدينية والأخلاقية في التاريخ .

وكانوا ينتقون الروايات التى تخدم أهدافهم وأقاموا كتاباتهم التاريخية على هذا الأساس، إلى جانب إدخال الخيال الذي يوصلهم إلى أهدافهم فيثبون أحداث ووقائع بعيدة عن التاريخ والواقع وهم يرددون الروايات الخاطئة والضعيفة ويصرفون النظر عن الروايات الصحيحة وإلىجانب ذلك فإن هناك من المؤرخون من يحتاج إلى الإدراك التاريخي السليم لان تربيتهم لم تكن لتؤهلهم إلى أن يكونوا مؤرخين - إلى جانب أنهم افتقروا إلى أصالة المنهج وعمق التفكير في كتاباتهم التاريخية ويقيمون بعض نظرياتهم بناء على أفكارهم وميولهم التى اعتنقوها وآمنوا بها واعتبروا ذلك التعبير الصحيح

للتاريخ الإسلامي ولذلك فهم يقولون الأخبار والروايات التى تتعارض مع خططهم المحدودة إلى جانب جهلهم بالمعلومات الحديثة .

وهناك اتجاه يظهر في فصل الدين عن الدنيا وذلك لا وجود له في الإسلام لأن التوازن أساس في كل المفاهيم الإسلامية .

ولذلك فإنه لابد من إعادة كتابة التاريخ في الإسلام على أسس إسلامية مع الاهتمام بالمجتمعات الإسلامية ودورها الكبير في أداء رسالتهم في هذا الحياة .

وبذلك ناصف تاريخنا ومجتمعاتنا وقادتنا وتظهر الحقائق الواضحة لدور الإسلام والمسلمين في المجتمعات الإنسانية كلها وبذلك يرضى الله تعالى عنا في الدنيا والآخرة ولمثل هذا فليعمل العاملون .

والله تعالى هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل.